

تاريخ قبائل ربيعة
الفرس...

إعداد :

محمد العنزي

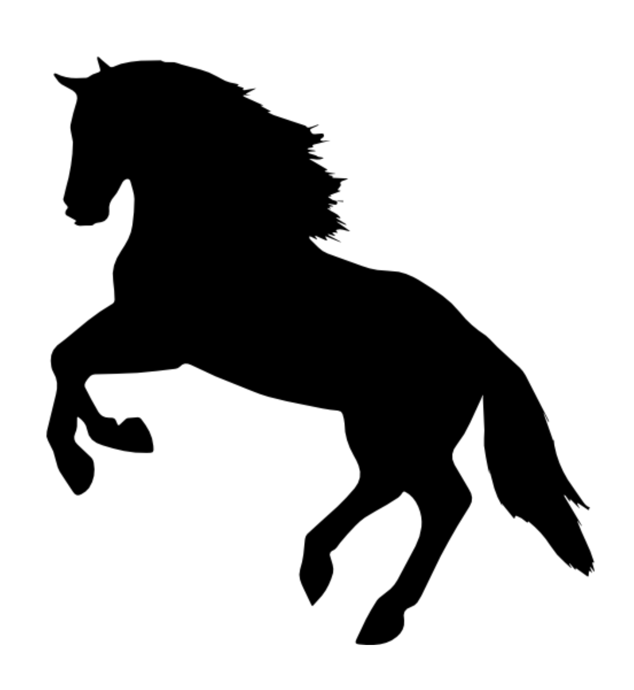
النسخة الأولى

٢٠٢٣م - ١٤٤٥هـ

تاريخ قبائل ربيعة الفرس

تاريخ قبائل ربيعة

الفرس...



اعداد :

محمد العنزي

٢٠٢٣م - ١٤٤٥هـ


تاريـخ قبائل ربيعة الفرس ..
محمد العنزي
النسخة الأولى
٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ
215 ص ، 17 x 24 سم



المقدمة

أنجب ربيعة أسد وضبيعة وأكلب وعائشة (دخل بنوه في اليمن) وتنقسم القبائل الربعية إلى ثلاث أقسام رئيسية هي قبائل أسد بن ربيعة ، وقبائل ضبيعة بن ربيعة ، وقبائل أكلب بن ربيعة

قبائل ضبيعة بن ربيعة وتتفرع إلى فرعين هما :

- بنو أحمس بن ضبيعة ومنهم بنو الكلبة .
- بنو الحارث بن ضبيعة : ودخل فيهم بنو سعد بن لؤي بن غالب من قريش فقالوا سعد بن الحارث بن ضبيعة وهم بنو بنانة .

قبائل أسد بن ربيعة وتتفرع إلى 3 فروع هي :

- بنو عميرة بن أسد بن ربيعة وكانوا قليل .

- بنو عنزة بن أسد بن ربيعة ومنهم قبائل بنو هزان بن صباح بن عتيك وقد دخل فيهم بنو جشم وهو الحارث بن لؤي بن غالب من قريش وبنو جلان بن عتيك

بنو جديلة بن أسد بن ربيعة ومنه معظم قبائل ربيعة وفيه عددها :

- عبد القيس وهو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة . سكنت هذه القبيلة إقليم البحرين
- بنو وديعة بن لكيز
- بنو صباح بن لكيز
- بنو نكرة بن لكيز
- بنو عمرو بن وديعة
- بنو غنم بن وديعة
- بنو دهن بن وديعة
- بنو أنمار بن عمرو

- بنو عجل بن عمرو
- بنو الديل بن عمرو
- بنو محارب بن عمرو
- بنو مالك بن أنمار
- بنو ثعلبة بن أنمار
- بنو عائدة بن انمار
- بنو سعد بن أنمار
- بنو عوف بن أنمار
- بنو الحارث بن أنمار
- بنو ثعلبة بن الحارث
- بنو عامر بن الحارث
- بنو البراجم ، وقد اختفى تواجدها القبلي منذ القرن السابع الهجري
- بنو عبد القيس ، هي جمجمة من جماجم العرب الكبرى .
- النمر بن قاسط ، وهو النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة .

- ومنهم بنو تيم الله وقد قتلهم القرامطة فتشتت فروعهم في قبائل العرب ولم يعرفوا بعدها وقد كانت القبيلة تدين بالنصرانية وذكر الإخباريون المسلمون أنها دخلت مع تغلب ضد بكر في حرب البسوس وأن تغلب قد لجأت إليها حين نزحت شمالاً بعد تلك الحرب .
- غفيلة ، وهو عامر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة . وكانوا قليل .
- تغلب بن وائل ، قبيلة من القبائل النصرانية العربية سكنت إقليم الجزيرة الفراتية بين العراق وسوريا وبنو تغلب هم الأراقم وكان من تغلب كليب بن ربيعة أول ملوك العرب العدنانية .
- بكر بن وائل ، وهم خصوم تغلب في حرب البسوس التي دامت أربعين عاماً في الجاهلية . وأشهر بطونهم بنو حنيفة وبنو قيس بن ثعلبة وبني يشكر وبنو ضبيعة بن ربيعة بن قيس بن ثعلبة وبنو عجل وبنو تيم الله بن ثعلبة وبنو شيبان بن ثعلبة ، وقد سكنت هذه القبائل في إقليم اليمامة في شرق نجد ، وقد شاركوا في معركة ذي قار ضد الفرس . وقد سكنت قبائل بكر بن وائل شمال الجزيرة وشمال شرقها ثم هاجرت مع تغلب إلى الجزيرة الفراتية بالعراق وسوريا وسمّيت تلك المنطقة بديار ربيعة

- عنز بن وائل ، بجهة الجند من اليمن ، ذوو عدد عظيم ، يبلغون عشرات الألوف .

قبائل أكلب بن ربيعة وتتفرع إلى 3 فروع هي :

- بنو عامر بن تيم اللات
- بنو جليحة بن ربيعة
- بنو هزر بن مبشر

الفصل الأول :

معارك ربيعة



حرب البسوس

حرب البسوس هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل جساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة التغلبي ثأرا لخالته البسوس بنت منقذ وهي من قبيلة بني تميم بعد أن قتل كليب ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرمي ، ويذكر المكثرون من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاما من سنة 494م ، ويذكر المقللون أنها استمرت بضعة وعشرين سنة .

قال محمد بن إسحاق لما حمى كليب أرض العالية من تهامة وحلها وجعلها من أول الربيع ممنوعة لا يدخلها إلا إبله وأهل أصهاره بني مرة بن ذهل ، وهم عشرة رجال همام وهو الأكبر ، وكان سيد بكر بعد أبيه وفارسها وجساس وكان فارساً شجاعاً ، وهو مفتاح الفتنة العظمى ، وهو قاتل كليب بن ربيعة ، وله العزم والإقدام ، وثعلبة ، وفضيلة والحارث ، وجندب ، وشيبان ، وذؤيب ، و نهشل ، وكان كليب لا يزال يطوف بالحمى راكباً ، فبينما هو كذلك يطوف بالحمى إذ هو بقنبرة على بيض بها ، فلما رأته طارت ، فبعد عنها كرماً حتى عادت إلى بيضها وأنشأ يقول :

قنبرة تدعو بالف قنبر = هواتف بين الربا والمحجر لا

ترهبي خوفاً ولا تَتَنَفَّري = فأنتِ جاري من صُروف القَدرِ

قال : ثم طاف وعاد إلى داره ، ونزل رجل من جَرم يقال له (سعد بن سمرة بن قدامة) بأهله وحرمه وماله على جساس وأبيه وإخوته وكان من أخوال جساس ، فنزل مع أمه الهاله ، وأختها الهيلة ابنتي منقذ التميمي من سعد بن مناة بن تميم ، وكانت الهيلة خالة جساس مع أختها من قبله وهي فيما زعموا أنها هيجت الحرب بين وائل فسمتها العرب البسوس تشبها لها بالبسوس التي من بني إسرائيل ، وذلك أنها امرأة كانت قبيحة (الوجه شنيعة) المنظر وكان زوجها صالحاً ، وقد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان قد أخبرها بما أعطى فطلبته أن يهب لها واحدة منهن ، وذلك أن يدعو لها أن يجعلها الله تعالى من أجمل النساء ، فدعى لها بذلك ، فلما وقع لها ما طلبت ، أشرفت على المنكر ، وأسرفت على نفسها وزاد فحشها فنهاها زوجها فازدرته واحتقرته وأفرطت في أذيته وادخال ما يكره في نفسها عليه فدعى عليها بالمسخ فمسخها الله تعالى كلبة ، فبكى أولادها وطلبوا أن يعيدها كما كانت أول مرة ، فدعي لها فذهبت الدعوات من أجلها ، فسميت الوائلية البسوس لشرّها . فظهر في الناس اسمها ، وعرفت بالبسوس من ذلك فلما نزل الجرمي بآل مرة ، وجاوز الهيلة ، وكانت له ناقة تسمى السراب ، وهي سبب الفتنة

قال ابن إسحاق : إن كليب خرج يوما يطالع الحمى ، فإذا بناقة الجرمي مع إبل جساس وأهله ترعى في الحمى ، فمزقت عش القنبرة ، فأبت لعنة ، فدنى كليب والطيرة تصفر وتصيح ، فتعرفها فلم يجدها من إبل أصهارة ، فنادى بجساس وسأله عن خبرها ، فأعلمه بقصتها .فقال كليب : فأولى لها ثم أولى ، لقد هممت أن أفعل بها ما أفعـــل ،

فلا تعودن هذه الناقة في هذا الحمى بعد اليوم أبداً . فقال جساس : بالله لتعودن ثم لتعودن ، ولا وضعت إبلي روسها في الحمى إلا وهي معها ، فقال كليب لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها وأنشأ يقول :

اني ورب القمر المنير = والحجر الاسود ذي الستور
لئن رعت البلد المحجور = فانزعت جاري من الطيور
(ثانية في وكرها المحذور) = ليصبحن الدرع بالمستور

فأجابه جساس بقوله :

يوباعث الموتى من القُبُورِ = إني وربٌّ الشاعر الغبور
وعــالــم الـمـكـنـون والضمير = إن رُمتَ منها معقر الجذور
لأنسـبـــن وتـــبــة الـمـغــيــر = الذيب أو ذي اللبدةِ الهَصُورِ

فغضب كليب وأنف وقال :

لقد حميت من جميع الناس = ما بين أقتاد إلى أقياس
أمنعه وكـيــف مــن جســاس = إنِّي أنا الليث أبو الفراس
جهـمُ الـمـُحـيـا شـابـك الأضراس = قضاقِض أثـبـت في الـمـراس

فأجابه جساس يقول :

بنا حميت جانبا أقياس = إلى أبانين إلى أطواس
بحي بكر دون باقي الناس = بحي بكر دون باقي الناس

فانصرف كليب إلى أهله يقول :

إن الكلام فشل دون العمل = وشَرُّ سهم طَار في الكفُّ الفَشَلُ
وشر ما قاله امرو ولم ينل = وكثرة الأقوال يا ذاك خَطَل

فبلغ جساساً قوله فأجابه :

أنا الذي فاعلم إذا قال فعل = وفي كلامي يُشبه القول العمل
إن لم يكن في الفعل مِنّي لم يقل = وشَرُّ ما قال امرؤ ولم ينل

وبلغ كليب ذلك فغضب ، ودخل على الجليلة مغضباً ، فعرفت ما به ، وقالت : يا ابن العم ما غيظك ، فقال : ويحك أتعلمين أنّ أحداً من العرب امنع مني جاراً ، قالت لا

اعلم أن أحداً أمنع منك جاراً إلا أن يكون عمك وابن عمك ، يعني أباها وأخاها ، فقال كليب في ذلك :

قد قال والقولُ كذاك زاهق = إلا من كانت له سوابق

فاتصل ذلك بجساس فقال :

عند ند الزَّمامِ تحمد الشوايق = وفي الوعيد تعرف الحقائقُ
والناس هذا كاذب وصادق

فلما بلغ ذلك إلى كليب ركب إلى الحمى يريد أن يعقر الناقة فتعلقت الجليلة ، فناشدته ألا يرهق صهره ولا يقطع رحمه ، وأنشأت به زوجته تقول :

أخ ثم رحم داخل إن قطعتها = وكيف تسود الناس من قد يسودها
فما أنت إلا بين هاتين ضائع = وكلتاهما وزر وصعب نكودها

فأجابها كليب يقول :

سأركب قطعاً للقرين بما أتى = وأحمي بلادي جهرة وأذُودها

مخافة قولي أن يُخالف فعله = مخافة قولي أن يُخالف فعله

فأجابه جساس يقول :

إذا ما الموالي خالفت من سفاهة = مواليها تاهت وضلت حُدودها
بنا نلت أعالي العز حين تشرّفت = بنو بكر فينا والمخرت نجُودها
فنالت أقاصي العز حين تشرفت = مغارشها فينا وجد جديدها
تجردت من جهل لبكر وإنما = احلتك في دار الموالي جُدُودها
وإن اتباع النَّفس يعقب محنة = يضيق بها في النّاس صدراً وربدُها

فلما بلغت كليباً هذه الأبيات خرج إلى الحمى قاصداً لا يلوي على أحد غيظاً وغضباً ، ولحقه أخوه مهلهل ، وعلم ما قد كان من أمره وأمر جساس فوعظه وعظم عليه القرابة والصهر والأرحام ، فشتمه كليب وقال : إنما أنت زير نساء ، والله إني أخاف إن قتلت لا طلبت بدمي ابدا ، فأجابه مهلهل قائلا :

أخ وحريم ينثني إن قطعته = بسُبّة عِزّ هَدمُها لك هادمُ
وقعت على ثنتين (إحداهما دم) = و حرب بها مِنا تجزّ الغلاصم
ومنقصة في هــذه ومذلة = وشرٌّ شمّ كُل ذا مُتقادم

فما أنت إلا بين هاتين غائص = وكلتاهما فجر وذو البغي نادم

وكل حميم أو أخ ذي قرابة = لك اليوم فيها آخر الدهر لائم

فاخر فإن الشر يحسنُ آخراً = واكظم فإن الـحُـرَّ للغيظ كاظم

فعاد كليب وفكر في أمره ، وخرجت الجليلة حتى أتت جساس ولامته فيما فعل ، فقال مثل تباً لك يا جليلة ، أتلومينني وتريدين قبول الضيم في جاري ، إن فعل ولم أقتله فأمي أُمه ، وكانت أم كليب أمة ، فقالت : إذاً يسلمك قومك ويخذلك أبوك ، قال : إن خذلت ، قالت : إني لأظنك شر مولود في وائل ، قال : نعم إن لم أمنع جاري ، وإن منعته فخير مولود من منع جاره من كليب فذهبت مثلاً ، فخرجت مغضبة ، فسقطت فقالت : تعس جساس ، فسألها كليب عن شأنها وأين خرجت فقالت خرجـــــــــــــت لحاجتي ، فألح عليها حتى أعلمته ، واتصل به قول جساس : إن فعل ولم اقتله فأمي مثل أمه ، فخرج إلى الحمى وترك قول مهلهل ، ورصد على الماء حتى وردت الإبل ، وكانت ناقة البسوس سراب قد عقلت خوف الفتنة ، فلما مرت بها إبل كليب عركت العقال وتصرّعت فيه حتى قطعته ، وتبعت إبل كليب لما علم الله تعالى- ولم يكن أحد يورد إبله إذا وردت إبل كليب حتى تصدر ، فسارت الناقة حتى اختلطت بإبل كليب ، ولا علم لأهلها ، ولما وردت الماء عرفها كُليب ، وظن أن جساساً أطلقها مغايظة له ، فأتبعها لما صدرت فعدلت عن الطريق حتى دخلت الحمى وهو يتلوها ، فأكلت من شجرة القنبرة التي أكلت أولادها أول مرة وأطارتها عن عش عملته ثانياً لأفراخ فيه ، فعندها أنف وغضب ورماها بسهم متعمداً فأصاب ضرعها فنظمه ، وردت الناقة رأسها

إلى مناخها مذعورة يشخب ضرعها لبنا ودماً حتى انتهت إلى مناخها بفناء البسوس ، ولها عجيج ورغاء شديد ، وأنشأ كليب يقول :

ياطيرة بين بنات أجهر = جارت عليها سرَبٌ بالمُنكَرِ

خلا البر فبيضى واصفرى = ونَقري ما شئت أن تُنقري

فأنتِ في حمى كليب الأزهر = حميته من مذحج وحـمـيـر

فكيف لا أذودهُ عَن مُضَرِ

ولما سمعت البسوس عجيج الناقة ورغاها طرحت خمارها وقامت إليها مسرعة ، فإذا السهم معترض في ضرعها طرفاه خارجان ، وعين الناقة تهملان ، وأخلافها تشخب دما ولبنا ، فصكّت وجهها وقالت واجوار جساس واجوار همام ، واجوار بني ذُهل ، وأذلاه ، فابتدرت إليها الفرسان ، واقبل جارها الجرمي صاحب الناقة يصيح بالويل والثبور ، وكان قد أشركها في الناقة ، فأول من وصل إليها جساس على فرسه وقال ما دهاكما يا خالة ، فقالت : هذا الرجل الذي أجلاكم عن الماء ، وسامكم الخسف عقر سراباً وقلدكم بها قلائد النسوان فلا ينثر نظامها ولا ينقص تمامها ، وجعلت تنكف بني مرة وتحرضهم والتفت إلى الرجل الجرمي البسوس وأنشأت تقول :

لعمري لو أصبحت في دار منقذ = لم ضيم سـعـد وهو جار لأ بياتي

ولكنني أصبحت في دارِ غُربة = متى يعدو فيها الذئب يعدو على شاتي

فيا سعد لا تغررك نفسك وارتحل = فإنك في قوم عن الجار أمواتِ

ودونك أزوادي إليك فزجها = ولا تلبثنَّ إلا قليلاً بالآتي

وسر نحو جرم إنَّ جرما أعزة = ولا تبق فيهم ما بين سوءاتِ

إذا لم تقوموا لي بثأري وتقصدوا = أُطَيْعانهم والشرب في كل غارات

فلا آب آتيكم ولا سُدَّ فقركم = ولا زال في الدُّنيا لكم شر نكبات

قيل : وكانت العرب تسمي هذه الأبيات المؤنبات ، فلما سمع جساس وإخوته قولها ازدادوا غيظاً وغضباً وحميّة ، ثم أقبل جساس على خالته فسكتها ، وقال اسكتي (فسوف يصبح جمل معقوراً هو أعظم من ناقتك وناقة جارك) ، فسكتت ، وكان لكليب جمل يقال له عليان ، فلما بلغه قول جساس ظن أنه يريد عقر عُليَّان ، قال أيُسمِّي جسّاس عقر عُليان ودون عقره خرط القتاد ، وقيل اسم الجمل عَلاّل في الليلة الظلماء ، ولما ماتت ناقة الجرمي من رمية السهم أنشأ الجرمي يقول :

جساس أين الوعد والوفاء = جسّاسُ ما شيمتك الحياء

إنَّ انتهاء الجار والخلاء = ومنعه عمّن يشاءُ

تبا لمن قال هما سواء

فقام جساس إلى خالته وجارها وقطع قطعاً من إبله يرضيها . وقال كليب حين عقر الناقة :

سَيَعلَمُ مُرَّةَ حَيثُ كانوا = بِأَنَّ حِمايَ لَيسَ بِمُستَباحِ

وَأَنَّ لَقوحَ جارِهِمِ ستَغدو = عَلى الأَقوامِ غَدوَةَ كَالرَواحِ

وَتُضحي بَينَهُم لَحماً عَبيطاً = يُقَسِّمُهُ المُقَسِّمُ بِالقِداحِ

وَظَنّوا أَنَّني بِالخير اولى = وَأَنّي كُنتُ أَولى بِالنَجاحِ

إِذا عَجَّت وَقَد جاشَت عَقيراً = تَبَيَّنَتِ المِراضُ مِنَ الصَحاحِ

وَما يُسرى اليَدَينِ إِذا أَضَرَّت = بِها اليُمنى بِمُدكَةِ الفَلاحِ

بَني ذُهلِ بنِ شَيبانِ خَذوها = فَما في ضَرَبَتَيها مِن جُناحِ

فلما بلغ جساس قوله أنشأ يقول :

إِنَّما جاري لَعَمري = فَاعلَموا أَدنى عِيالي

وَأَرى لِلجارِ حَقّاً = كَيَميني مِن شِمالي

وَأَرى ناقَةَ جاري = فَاعلَموا مِثلَ جِمالي

إِنَّما ناقَةُ جاري = في جِواري وَظِلالي

إِنَّ لِلجارِ عَلَينا = دَفعَ ضَيمٍ بِالعَوالي

فَأَقِلّي اللَومَ مَهلاً = دونَ عِرضِ الجارِ مالي

سَأُودي حَقَّ جاري = وَيَدي رَهنُ فِعالي

أَو أَرى الموتَ فَيَبقى = لُؤمُهُ عِندَ رِجالي

قال : وأقام جساس يتوقع خروج كليب إلى الحمى ، حتى بلغه أنه ركب إلى الحمى ، فخرج في طلبه فاتبعه عمرو بن الحارث ينهاه عن لقاء كليب ، فركض جساس وعمرو في إثره ، حتى دنيا من كليب في حماه ، فسمع وقع الفرس وكان لا يلتفت إلا لأربعين فارساً لجرأته وشجاعته ولا يسأل عما دون ذلك ، فلم يلتفت ودنى منه جساس ، وعمرو يناشده ألا يطعن كليباً ، فلم يسمع جساس قول عمرو ، وعرف كليب ركض جساس فقال : من هذا؟ قال جساس : وإليك عني ولا تغتر بي ، قال يا ابن العم قد علمت غدري فاتني من قُدَّامي إن كنت تريد أن تدعى من رجالي ، فقال جساس وددت أن أقتلك ولم أرك مدبر ، فكيف مقبلا؟ ثم وضع رمحه في صلبه وصرعه ، ووقع

كليب على الأرض يفحصها قبل الموت ، فقال :جساس هيهات تجاوزت شبيباً والأخص ؛ يعني منهلين كانا لهم من الماء ، فذهب مثلاً ، وأراد عمرو بن الحارث أن يسقي كليباً فكره جساس ذلك وجرت التهمة على عمرو بقتل كليب ، وقيل : إنه هو الذي طعنه ، ثم ظهرت براءته ، قال : ولما طعن جساس كليباً وقف على رأسه يقول :

أيجارنا تبغي كليب سفاهة = فاذهب بها نجلاء من جَسّاس

قد رُمتَ أَمراً كُنت تضعف دونه = صعب المراقي زاهيا في الناس

فسقيت كأساً للمنية مُرَّةً = فاشرب لحيت من الحقوف بكاس

واعلم بأنا لا نُسلّم جارنا = فعل اللـام به والأنكاس

ولنحن أصبر في المواطن واللقا = في كل يوم كريهة ومَرَاسِ

نحمي الذمار فلا يُرامُ جَنابُنا = ونذبّ فيه ذوائب الإبلاس

أعقرت ناقة جارنا وزعمت أن = تبغى بها بحماقة ومكاس

وَسِنانُ رُمحي في اللقاء أديره = بيدي أغرّ مُهَذَّب نَفاسِ

أروتُيه منك الغداة بطعنة = من بعد طول تجهم وعَبَاسِ

قال ابن إسحاق : وانصرف جساس وابن عمه عمرو بن الحارث عن كليب ، وتركاه مجدلاً ، فأقبل الرُّعاة ، كلما نظروا كليباً على تلك الحالة هربوا منه ، وكليب يشير إليهم ويستسقيهم بيده ، فلم يسقه منهم أحد حتى مات وفي ذلك يقول مهلهل شعراً :

فأبلغ عقالاً إن غاية داحس = تواتيك فاستأخر لها أو تقدم

كليب لعمري كان أكبر ناصر = وأسير جُرم منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستهل بطعنة = كحاشية البرد اليماني المُسَهمِ

فقال لجساس أغثني بشربةٍ = تمن بها فضلاً على وأنعم

فقال تجاوزت الأحص وماءه = وبطن شيب وهو ذو مُتوسمِ

تجيرُ علينا وائل في ذمامنا = كأنك عمّا مَسَ أشياعنا عَمِي

ومن لم يدع ظلم امرئ وهو قادر = على ظلمه يوماً من الدهر يظلم

قال ابن إسحاق : وإن جساساً لما قتل كُليباً انصرف هو وابن عمه يركضان من الحمى إلى قومهما ، وكان مرة بن ذهل – أبو جساس – في نادي قومه ، فنظر إلى جساس

يركض وقد بدت ركبتاه ، وكان فيهما بياض من أثر السرج ، فقال مرة لمن كان معه جالسا : إن لهذا الفارس شأناً ، فإني لأظنه جساساً ، فإن يكن كذلك فقد جاءكم بالداهية العظيمة التي تذل لها رقاب وائل فقال جلساؤه ومن أين عرفت ذلك ، فقال أراه قد بدت ركبتاه ، ولم يفعلها مذ ركب الخيل فلما انتهى إليهم قال أبوه : ما وراءك يا جساس ، قال شر عظيم وا مصاب وائل ، لقد طعنت اليوم طعنة ترقص لها عجائز وائل ترقصاً ، قال وما هي لأمك الويل ، اقتلت كليبا؟ قال إي والله ، وأي قتل ،قال : إذ أسلمك وأهرق دمك في صلاح عشيرتك ، لا ناقتي فيها ولا جملي ، ولا أنا منك ولا أنت مني ، أما والله لبئسما فعلت في قومك فرقت جماعتها وألحفت حربها وقتلت سيدها وريسها في شارف من الإبل ، والله لا تجتمع وائل بعدها أبداً ولتستحلن بها سبايا وائل . قال له قومه لا تفعل هذا ولا تقله فتخذل ولدك ، فأمسك مرة عن الكلام ، وغمس يده مع ولده في الحرب العوان واستعد لها جساس ، وأنشأ يقول :

تَأَهَّب مِثلَ أُهبَةِ ذي كِفاحِ = فَإِنَّ الأَمرَ جَلَّ عَنِ التَلاحي

وَإِنّي قَد جَنَيتُ عَلَيكَ حَرباً = تُغِصُّ الشَيخَ بِالماءِ القَراحِ

مُذَكَّرَةٌ مَتى ما تَصحُ مِنها = تَشُبُّ لَها بِأُخرى غَيرَ صاحِ

تُسَعَّرُ نارُها وَهَجاً وَجاءَت = غِذا خَمَدَت كَنيرانِ الفِصاحِ

وَما تَنفَكُّ نائِحَةٌ تُعَزّي = بِما نَدَبَت وَتُعلِنُ بِالنُواحِ

تَعَدَّت تَغلِبُ ظُلماً عَلَينا = بِلا جُرمٍ يُعَدُّ وَلا جُناحِ

سِوى كَلبٍ عَوى في بَطنِ قاعٍ = لِيَمنَعَ حِميَةَ القاعِ المُباحِ

فَلَمّا أَن رَأَينا وَاِستَبَنّا = عُقابَ البَغيِ رافِعَةَ الجَناحِ

صَرَفتُ إِلَيهِ نَحساً يَومَ سوءٍ = لَهُ كَأسٌ مِنَ المَوتِ المُتاحِ

تُشَكِّلُ دانِياتُ البَغيِ قَوماً = وَتَدعو آخَرينَ إِلى الصَلاحِ

ذَريني قَد طَرِبتُ وَحانَ مِنّي = طِرادُ الخَيلِ عارِضَةَ الرِماحِ

وَما لي هِمَّةٌ أَرجو أَخاها = سِوى الخَطِّيِّ وَالفَرَسِ الوَقاحِ

وقال أيضاً مرة في ذلك :

البـغـي فـيـه لـلـمـنـيـة هــادي = والله للباغين بالمرصاد

لو كان أقصر وائل عن ظلمنا = لم يمس مضطجعاً بغير وسادِ

والـبـغـي فـيـه شـــر أفـعـال الــردى = ومراده في الناس شر مُرَادِ

سَتُسل أسياف المنية بيننا = فعل العداللكر والإعدادِ

حتى تصيـر إلـــى الـعـزيـز بـعـزّة = رمـح الـلـوا ومشايخ الأجــادِ

قال محمد بن إسحاق ثم قال مرة لبنيه وقومه ارحلوا بنا عن مجاورة القوم ، فظعنوا ، وكان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل بن ربيعة أخو كليب متنادمين متصاحبين متحالفين لا يكتم أحدهما عن صاحبه شيئاً ، وكانا متنادمين على اللهو والقيان ، وكانا قليلا ما يغزوان ، وكانت بكر تسمي مهلهلاً المُجدّع ، فلما ظعن مُرة بأهله بعث إلى ولده همام أن يظعن ويلحق بأهله ، وبعث إليه مع الجارية بفرسه ، فلما انتهت الجارية بالفرس إليهما وهما في جانب الحي معتزلان في خلوتهما ، فلما رأي همام الجارية والفرس وثب إليهما وقال : ما دهاك ، قالت شر طويل قتل جساس كليباً ، وقد ظعن أبوك وأخوتك وأمرني بالفرس إليك لتلحق بهم ، فأخذ همام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع إلى مهلهل ، فقال مهلهل : ما شأن الجارية والفرس وما بالك متغيراً ، قال : اشرب ودع عنك الباطل ، قال : وما ذاك ، قال : إنها زعمت أن جساساً قتل كليباً ، فضحك مهلهل وقال است أخيك أضيق من ذلك ، اشرب فاليوم خمر وغدا أمر ، ثم أقبلا على شرابهما ، فطفق مهلهل يشرب شرب الآمن ، وهمام يشرب شرب الخائف ، فلما سكر مهلهل ركب همام ولحق بأهله في اليمن ، وفشل قتـــل كلــيب في

الحي ، وقامت عليه النوائح وخرجت العواتق من الحجال ، وخمشت عليه الوجوه ، وشقت الجيوب وعقرت الخيول ، وفزع مهلهل بن ربيعة إلى قومه سكران وهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم ، قال لقد فزعتم إلى غير مفزع ، تعقرون خيولكم حين احتجتم إليها غاية الحاجة ، وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه ، ونهاهم عن ذلك فانتهوا ، ورجع إلى النساء فنهاهن ، فقال على رسلكن ، واستعدون للبكاء عيونا فستبكين ، رب قتيل في وائل إلى آخر الدهر الآبد فظن قومه أنه على وجه السكر ، وكان لا يعرف بالجرأة في الحروب ، بل كان صاحب لهو ونساء ، وكان أصبح أهل زمانه وجهاً وأفصحهم لساناً ، وكان كليب قد كناه المغازي ، وكان يسميه زير نساء أي جليسهن ، هذه إحدى الروايتين .

وقيل إنّ قوم مهلهل بعد قتل كليب اجتمعوا وقالوا : عرفوا مهلهلا قتل أخيه كليب فإن هو بكى وحزن فلا ترجوه ، وإن تعزى بشيء من الحرب فارجوه للحرب وقوموا معه فإنه سوف يبلغكم مرادكم ويأخذ بثأركم من عدوكم ، فاجمعوا أن يندبوا إليه أمامة بنت كليب ، وكان يحبها حباً شديداً ، فاستدعوها وهي بين نساء تغلب ، وهي ابنة اثنتى عشرة سنة فوطئوا لها على نجيب ، وقالوا : يا سيدة العرب امضى إلى عمك وعرفيه بخبر أبيك ، واستنبطي لنا حديثاً ، وانظري ماذا يرد عليك ، واعلمينا عاجلا ، فمضت أمامة إلى عمها وجعلت تحث البعير حتى وافته وهو نائم في قبته سكران فدخلت عليه وأيقظته من رقدته فانتبه فزعاً مرعوب فنادى هماماً فلم يجبه ، ثم قالت يا عماه : انتبه من رقدتك وافق من سكرتك ، فلما نظر إليها قال مرحبا بك وأهـــــلا

وسهلا ، يا سيدة العرب . ما الذي جاء بك ، وضمها إلى صدره ، فقالت يا عم أبي أبي ، فأحس منها بالشر ، فقال يا بنية ما يصدقك في هذا القول إلا مازح أو سكران ، فعند ذلك بكت بكاء شديداً وطرحت رداءها على وجهها ثم تلهفت تلهفاً شديداً ، وأنشأت تقول :

أتلهو بـالـمـلاح وبالخمور = ولا تدري بعاقبة الأمور

ولا تدري بأن كليباً أضحى = قتيلاً عند جساس الغدُور

فيا ويـل الـجـسـاس وعـمـرو = لقد رَمَيا أخاك بعنقرير

وواعـجـبا لـجـسـاس وعـمـرو = لقد جَسَرا على أمر كبير

على نابِ البسوس سَرَاب أعني = تسح دماؤه كدم البعير

قال محمد بن إسحاق فلما سمع مهلهل قولها (لم يُكذِّب خبراً) وخنقته العبرة ثم أجابها :

واحـمـلـهـا عـلـى أبـيـات بـكـر = وآخذ بالترائب والنُّحور

وأشفي منهم قلباً جريحا = وتعلم أن قولي غير زور

ثم قال للجارية الحقي بأهلك ، وكان ذلك اليوم أول يوم قال فيه الشعر ، ثم خرج من قبته إلى أبيات كليب ، فنظر إلى المُشهَّر وعليه الدم فدنى إليه ، وقطع سبيبه من حد الذنب وقلب سرجه وسار إلى الحمى ، فوجد بني تغلب قد قتلت انفسها وقد عقرت الخيل ، فنزل عن فرسه ودنى من كليب فنزع الرمح من ظهره ، وكان على وجهه فاقعده ومسح عن وجهه التراب وقبله وأنشأ يقول :

ياخَليلي أبكيا الكليب = واندباه الظلام ثـم الـصبـاحـا

كيف صبري وكيف أشربُ خَمراً = وكليـب يـجـاذب الأرمـاحـا

قال الراوي : ثم إن مهلهلاً طيب أنفس قومه وفسح لهم فتفرقوا ، وقال لا تجعلوا لطلب ثأركم موعداً ، ومضى كل واحد منهم لشأنه ، فلما نظر مهلهل إلى النسوان المخدرات وقد برزن يلطمن خدودهن ويخمشن وجوههن أحزنه ذلك ، وتلهف تلهفاً عظيماً ، ثم أخذ في جهاز أخيه كليب وواراه ، وأوقد عند قبره ناراً عظيمة ، ثم عقر عليه مائة ناقة حمراء وأباح لحومها للفقراء ، ثم ضرب على قبره بيتاً وأقسم ألا يقطع القرى عن قبـره

ما دامت عين على الأرض تطرف من بكر بن وائل . وأنشأ يقول قصيدته التي يرثي بها أخاه كليباً ، وهي التي جزم شعراء العرب جميعاً أنها أحسن مراثيه في كليب :

الدار قفر عفاها بعد سَاكِنها = بالريح بعد ارتحال الحي عافيها

وغالها الدهر إنّ الدهرَ ذُو غيل = فأصبحت بلقعاً فقراً مغانيها

قال فأجابه جساس يقول :

أبلغ مهلهل عن بكر مغلغلة = منتك نَفسُك إذ عنت أمانيها

تبكي كليبا وقد شالت نعامته = حقا وتضمر شياً ليس تأتيها

ثم إن مهلهلاً قال لمن حوله وأيم الله لقد حدثني همام بهذه الحادثة فما صدقته ولا ظننت أن هذا سيكون ولا مثل كليب يقتله جساس ، ثم أنشأ يقول :

أرى النفس بعدك من حُزنها = إذا ما ذكرتك قد تنفطر

نهاري وليلي بها واحد = أراقب صبحي متى ينفجر

قال : فلما سمعت بنو تغلب هذه الأبيات وثبوا إلى سيوفهم فاجتردوها ، وهموا أن يقتلوا أنفسهم فنهاهم مهلهل عن ذلك ، وقال مهلا لا تفعلوا ، فنادت العرب يا أبا المجد مرنا بأمرك فنحن سائرون بين يديك ومعولون بعد كليب سيدنا عليك فعند ذلك أنشأ يقول :

ابكوا كليبا واندبوه إنّه = كان النُّهى فيكم وكان الُمرتجى

قد كان مقداما إذا تراكضت = آسادُ غَيل يطردن بالقنا

وأنشأ يقول أيضا :

إن تحت الأحجارِ حَزما وجزما = وقتيلاً من الأراقم كهلاً

قتلته ذُهل فلستُ براض = أن نبيد الحيين قيساً وذُهلاً

قال : فلما فرغ من شعره وعظم على القوم مصابه اجتمع إلى مهلهل قومه ، فقام من بينهم ضرغامة بن السلط بن سلمه ، فقال : يا أبا حزام إن محدثك ، واعلم أنك سلبت ملكا لا تجد به بدلاً ، والعرب كلها عاتبة عليك في مجالسها ، فاخلف ما قالوا فيك ، وانظر من أنت ، وابن من أنت ، أما ربيعة ومضر وإياد فقد ساروا جميعاً تحت لواء أبيك وأخيك فخذ بالثأر وأخلص من العار ، وجد في التشمير ، ودع الغفلة ،والتقصير ، فإنا شركاؤك في مصيبتك وقسماؤك في حادثتك ، فادع بنا نجبك ، وكان مهلهل لا يركب فرسا ولا عرفت له شجاعة ، بل كان خامل الذكر مشهوراً بالخمر والغناء والملاهي وضرب الميسر والقداح وما شاكل ذلك ، وكان أخوه كليب قد ناب عنه في جميع الأمور ، وكان كليب لخمول أخيه ولهوه وشغله تعبان ، فهم بقتله ، فقال له ذات يوم سر معي إلى الحمى ، فسار في إثره راجلا وكليب قد أضمر قتله ناحية من الحمى ، فبينما هما يسيران إذا وطئ المهلهل حية عظيمة ، فكشرت عليه ونفخت في وجهه فمضى على حاله ولم يلتفت لها فنظر كليب إليه ، فقال له : ما الذي وطأت؟ فقال : لا أدري إلا أني أظنها أرنباً أو ثعلباً ، فعلم كليب جرأته وأنه ثابت الجنان ، فأمسك عن قتله ، ورجع وهو يحادثه ويقول : أنت زير نساء ، أي جليسهم وفي ذلك يقول مهلهل حين أدرك ثأر أخيه فتمنى أن يراه أخوه كليب هل هو زير نساء كما ذكر أو غيره ، فقال بيتاً مفرداً :

ولو نُشر المقابر عن كُليب = لينظُرَ بالذَّنَائِبِ أي زيرِ

قال ابن إسحاق الكلبي : ويقال إن الجليلة ابنة مرة بن ذهل بن شيبان زوجة كليب خرجت إلى مأتم كليب وفيه أخواته وبنات عمه في نساء من أشراف تغلب ، فلما رأينها حدثتهن أنفسهن بقتلها ، وقلن لها اذهبي عن مأتمنا أذهب الله عينك ، يا أخت قاتل كليب حدثتهن سيدنا ، فسوف تكون عليك الدائرة يا صاحبة الخديعة ، تالله ما قتل كليباً سواك ، فلما سمعت الجليلة قولهن تغرغرت عيناها بالدموع ، فعادت من عندهن واجمة الوجه تسحب أذيالها ساكية دموعها ، وإن الزهراء أخت كليب أنشأت تقول :

إن تكوني بأخي شامتة = فعسى الأيام أن تعقب لي

فيزيل الدهر منكم دولة = تشف صدري من أخيك الأرذل

قال : وإن المهلهل أخبر بالنسوان وما شجر بينهن ، وأنهن هممن أن يقتلن الجليلة بنت مرة فغضب من فعلهن بها ، وخشى من ذلك لأنها كانت حاملاً لكليب ، ورجى أن يكون حملها ولداً يخلف أخاه ولولا ذلك لكان هو الباطش بها لما بلغه من خديعة أخيه كليب ، وخشى مهلهل أن تلحقها حميَّة الغضب فينسلب ولدها ، فخاف من ذلك فوقف عندها وخيَّرها في المقام عنده على الكرامة والإنعام والافتقاد والاهتمام بحالها ، أو الرحيل إلى أهلها ، فاختارت الرحيل إلى أهلها ، فأذن لها في ذلك ، وقال

لها عجلي يا ابنة مرة فمغفور لك ما كان ولست ألومك على محبة ،قومك ، فقربت جمالها لوقتها ورفعت رحلها وأقبل عبيده يحملون أبياتها على إبلها ، وارتفعت في هودجها ، فحيئذ خرجت أخت كليب الصراء ، فوقفت عليها وشتمتها وقالت هجراً يا ابنة مرة يا خبيثة يا بنت الخبائث ، اذهبي وواري وجهك عنا غير محفوظة ولا سالمة ، ولا مصحوبة بسلامة . ثم إن سلمى أخت كليب خرجت وأنشأت تقول :

أخت جسّاس اللعين فارحلي = عن فنانا اليوم ثم اشتغلي

أنتِ ألقيت وأغريت بنا = ستري منا ضرام الشعل

قال صاحب الخبر : فاحتملت الجليلة سبتها ولا عاتبتها على كلامها وضربت بالسياط بعيرها وأسبلت عبرتها ، وقالت يا ابنة العم لا ألومك على كلامك ، ولكن لومي على الدهر الذي شتت شملنا وفرق جمعنا وأثار حربنا وأمرّ عيشنا بعد حلاوته ، وأجابت في شعرها حيث تقول :

يا ابنة العم إذا قُلت فلا = تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنتِ تبينت الذي = عندها اللوم فلومي وأعذلي

قال صاحب الحديث فأبكت الجليلة بشعرها جميع رجال الحي ونسائه فبين عاذر ومصدق لقولها . قال : وإن الجليلة احتملت إلى أهلها بجميع ما تملكه من طارف وتليد وخدم وعبيد وكل ما يغدو عليها ويروح ، ولم يؤخذ معها عقال بعير إلا ما كان من خيل وسلاح وعشار وبكار ، فلما حصلت في بعض الطريق أنشأت تقول :

يا عين فابك فإن الشر قد لاحا = وارسلي دمعك المخزون سفاحا

هذا كليب على الرمضاء منجدل = بين الخزام تملأ اليوم أرماحا

قال الراوي : وسارت الجليلة حتى أشرفت على أبيها وقومها فعرفوا حمولها ، وكان مرة بن ذهل واقفاً بإزاء الحي ، وقربه من أكابر قومه يشتورون وينظرون ما يصنعون ، فلما نظرها أبوها حَرّف رأس فرسه إليها ، وانحدرت من ظهر بعيرها تسحب أذيالها وتسيل دمعها ، وحرقتها بادية مسفرة عن وجهها مختلا عقلها ، ناشرة شعرها ، فقال : ما وراءك يا بنية ، قالت – وقد أبدت محاسنها – لا حملت الأرض شجاعاً بعد كليب ، ولا فرح قلب بعدك يا كليب بفرح ، قال : بنية أخبريني بما فعلت بنو تغلب ، فقالت : والله يا بني بكر بن وائل لو قدرت اليوم على أخي جساس لقتلته ، فلقد كان كليب سيداً وتاجا وعضدا ، ولكن لا قدرة لي على ممارسة الحروب ، ولكن ستأتيكم عتاق الخيل تحمل أساد غيل تأخذ منكم الثأر وتحلُّ بكم البوار ، فعجب أبوها من قولها ، ثم

قال أبوها : يا جليلة ترضين أن تسلمي أباك وأخاك إلى من يقتلهما في بعلك فتفقدين الكل معا ، قالت نعم إي والله ، فقد رفع بعلي منارك وحمى ديارك وعضد أنفارك وأذل لك الملوك وأزال عنك الذل والشكوك وبه صرت عزيز القبائل ورفيع المنازل . . . قال فعجب أبوها من قولها ، فقال : أقصري عن هذا الكلام فإنا سنخاطبهم ونحمل الدية إليهم ونطفئ نار الفتنة ، قالت : يا شيخ أمجنون أنت؟ أتطمع أن بني تغلب تأخذ منك الدية وتبيع دم كليب سيدها ، هذا والله ما لا يكون أبداً ، ثم لطمت خدّها الصقيل ، وأعلنت البكاء والعويل ، فقال لها :أبوها يا جليلة وما الذي هم عليه وما هم صائرون إليه ، قالت : على حرب الأبد ونحول الجسد وتحرق الكبد ، ورزية يقطع فيها الخليل خليله ، وقتلك وقتل أخى جسّاس عما قليل بلا حيلة ، فيا لها من ذنوب تفطّرت منها الأكباد ، واصطلت نارها الأجساد ، وشمتت بها الحساد ، ألا إن الحرب قد كشرت لكم عن أنيابها ، قال يا بنية يُطفى ذلك بكرم الصفح وقبول الدية وإلا قصدونا بالقتال ، وشفار الظبا والنبال تثير كل كهل وفتى لا ينتظر الغد ولامتي قالت : يا أبا همام (أغرك ما تقول تالله) إنك مخذول مغرور ، أتطمع أن تهب لك تغلب ربها بالصفح وتمنعك صفوها ، تأمل بعد قتل سيدها عفوها ، (أمثل كليب تقبل فيه الديات هيهات لقد أخطأت ليتك لحقته هيهات هيهات أبعد أن ضُرج كليب سيد العرب وحسامها و سنانها بدمه و عظمت الرزية بعدمه فقال لها أبوها : اذهبي إلى بيتك واسبلي الحجاب وصمّي عن العتب سيكون الذي يقضي ، فانتحبت وسترت وجهها وتلهفت ، وأنشأت تقول :

إذا الخيل ثارت بعد صلح قدورُها = وخوف ابنا وائل من مثيرها

تقطعت الأرحام منهم وبدلت = ضغائن حقد بعد وُدُّ صُدورها

فقال لها أبوها : مهلاً يا بنية لا يروعك ذلك ثم أجابها :

فإنا سنكفيك يوم اللقا = إذا شبت الحرب نيرانها

قال : ثم ردَّ رأس فرسه إلى قومه وهم واقفون ينظرون ذلك ، فكتمهم كثيراً مما أخبرته ابنته واحتمل الامتعاض دونهم . قال الراوي : وإنّ المهلهل بعد قتل أخيه جعل يندبه ويطلب بثاره ، حتى إنه لم يطلب أحد بدم مثل طلب المهلهل بدم أخيه حتى هلكت ربيعة كلها ، وكان مشوما على القاتل والمقتول ، فابغضت العرب بعضها بعضاً . ثم إن المهلهل سأل عن آل بكر فذكر أنهم ساروا ظاعنين لوقتهم وساعتهم فتأسف وتحسر وأنشأ يقول :

غداً الخليطان إن جد الخليطان = عنا بأحداج أجمال وأظعانِ

إذا استقلوا بحاديهم وقد سلكوا = صعداً ترى أنهم نخل ببستان

قال صاحب الحديث وإنّ المهلهل بعد قتل أخيه اعتزل النساء وحرم الخمر ودهن الوفرة ، وحرم المضاجع وترك اللهو ورفض الغواني وابعد عن الصيد والقنص والراحة وأقبل على شانه ، وطلب ثأر أخيه ، وجعل أسباب القتال همه ، وكانت العرب كلها على كلمته وإجابتة لدعوته ونصرته ، وإنه تجرد لحرب بكر بن وائل ، وظهر منه ما لم يكن يظن به ، ولم يُؤمل منه من الشجاعة والنجدة والبأس والشدة والتدبير والرأي والتألف لقومه ، واللطف بعشيرته ، والفظاظة والغلظة والقساوة على أعداءه حتى نُصر في حروبه كلها ، فما كان من حين حارب أعداءه يلقى جيشاً إلا هزمه ولا جمعاً إلا قله وأبطله ولا بطلا إلا أذله ، ثم إنه جمع قومه بني تغلب فجعلهم طلبا واحداً ، وأرسل رسله إلى كل قبيلة بعد قبيلة ، وقوم بعد قوم ويعدهم ويمنيهم ، ويذكر لهم رزّية أخيه ، ويعدهم بالغنائم والأنفال من جميع الأموال ، فسار أمر تغلب كلها إليه بعد أخيه كليب ، فلما نظر إلى العرب وقدموه وحقوه على طلب ثأره ووعده بنصرته ، ونظر إحداقهم ومحاشدتهم عليه ذكر كليب وما مضى لأبيه ، فقال هذه القصيدة ، وكانت العرب تسميها الداهمة ، وقال آخرون الجولة والجزله ، لأنه حرض فيها بني تغلب على الطلب بدم كليب حتى كادوا يهلكون جميعا وأنشأ يقول :

جارت بنو بكر فلم يعدلُوا = والمرء قد يعرف قصد الطريق

حلت ركاب البغى فى وائل = في رهط جساس ثقال الوسوق

قيل ولما بلغ شعره بني بكر بن وائل فغص به كل لئيم وصغر عنه كل عظيم ، وطاشت منه الألباب ، وكثر فيه الخطاب ، فمنهم من عرف صدق قوله ، ومنهم من جهله ولام جسّاساً على فعله ، فلما نظر جساس إلى لوم قومه وتكثيرهم عليه ، وقالوا يا حريب احربتنا ، يا سليب أسلبتنا وألقت الحرب والقتل بيننا قتلت رئيسنا وطأطأت رئيسنا وهدمت عمود عزنا وأوهيت جدار كنزنا وخفضت لواء فخرنا وأعليت علينا أراذل دهرنا ، وكثر تأنيبهم له وتوبيخهم وزجرهم فغير لونه وزاد به الأمر فاطرحه ، ولم يجب مهلهلاً على شعره من حيث أذاقه الغصص وجرّعة وأجاب مهلهلا سعد بن مالك (وقيل مرة بن ذهل بن شيبان والد جساس) حيث يقول :

إنا على ما كان من حادث = لم نبتد القوم بذات العُقُوقِ

قد عرفت تغلب أرماحنا = بالطعن إذ جَارُوا وحَنَّ الحُلُوقِ

قال الراوي : فبلغ مهلهلا هذا الشعر فغاظه وامَعضَه ونغص عليه فأنشأ يقول :

يابني بكر لقد أقدمتم = فاصطلوا من حربنا ذات الحريق

فدفعتم أنفساً في هُوَة = ذات أنفاس من الريح السحيق

قال الراوي : فلما سمع بنو بكر شعر مهلهل أجابه رجل منهم يقال له عمرو بن سنان حيث يقول :

قد تمنت تغلب أمنية = هي منها حيث بيضات الأنوق

ليس يجرى القول إلا حافظ = يَضبط القول ولـلـحـرب يطيق

وقال أيضاً مرة بن ذهل بن شيبان رداً على المهلهل حيث يقول :

يابني تغلب قد أكثرتمُ = أمركم في أمر غـيـر صـدوق

ولقد قلتُم وقلنا قد مضى = قولكم بالصدق والعقد الوثيق

قال : فلما بلغ القول المهلهل أمرضه وبات يتقلب على فراشه في ذكره كليب ، فلما أصبح ركب وسار نحو قبر كليب ، وكان بينه وبين قبره فرسخ أو فرسخان ، فلما وقف على قبره بكى بكاء شديداً وتلهف وأنشأ يقول :

ألا فابكيا مَنْ كان شمساً منيرةً = إذا ما بدت من شرقها حين تطلع

ألا يا بني الأعمام لا تعذلونني = وكُفوا ملامي وانظروا كيف أصنعُ

قال : وانصرف من على قبره ودخل الحمى فنظر إلى العشب فيه وإلى الوحش ذكره به فأنشأ يقول :

دخلت العشب بعدك يا كليب = فضح الوحش يعدو والنَّعامُ

رأيتُ العُشب موحشةً وعهدي = به من قبل ذاك هو الحرام

قال : وانصرف إلى أهله ولم يزل ساهراً (وكان طول سهر) لأجل مرة بن ذهل بن شيبان وأنشأ يقول :

من كان فرحانا مسروراً بصاحبه = فإنني كمد من سائر الناس

لأنَّ مُهجة قلبـي ثـاويــاً أبداً = ما بين رمل وأحجار وأرماس

قال : وإن المهلهل جلس هو وبنو تغلب للمشورة في حرب بكر بن وائل وعظموا له الأمر ووعده بالظفر والنصر ، وذكروا لـه قُرب دارهم منهم ، فوعدهم بكل ما أرادوا فحملوا أثقاله ، وشكروا له ،مقاله ، وانصرفوا من عنده على غير موعد ، فأنشأ يقول :

أهاجَ قَـذَا جفونك الإذكار = هدوا والدموع لها انحدار

تجود بها الشئون إذا استهلت = ليس لردها منه عِذار

قال : وإن تغلب اجتمعت وتحاشدت وصارت بيتاً ،واحد ، وأقبل مهلهل يستدني الرجال ويطيب لهم الكلام ويبذل لهم الأموال ويعين الفقير ويحرض ويوبخ ويقول : ضمروا خيلكم اصلحوا عددكم واعدوا واستعدوا لكشف عاركم وبلوغ أغراضكم ، فإني آليت على نفسي ألا أطلب بدم أخي إلا بعد سنة ، فانصرفت العرب إلى بيوتها ، وأخذوا في أخذ أهبتهم وإصلاح عددهم ، والقيام على خيلهم ، وصقل سيوفهم ، وتوكيد سروجهم ، ثم عهد المهلهل إلى فرسه المشهر فأقامه على مربـــــطه ،

ووكل به أربعة غلمان ، وأربعة كباش من الضأن ، وكان يطعمهن الشعير المغسول وشرب اللبن ، وكذلك الناس تفعل مثله ثلاثة أشهر ، ثم دعى بأحد الكباش فذبحه وكسر مفصله فوجد المخ قد جرى فيه ، وقد ابتدأ يجمد ، ثم سقاه ثلاثة أشهر أخرى ، ثم ذبح الكبش الثاني وكسر ساقه فوجد المخ فيه قد جمد وصار بلا عظم ، ثم سقاه ثلاثة أشهر أخرى وذبح الكبش الثالث وكسر ساقه أيضاً فوجد المخ قد ابتدأ يتصلب ، ثم سقاه ثلاثة أخرى وتمت السنة فذبح الكبش الرابع فوجد المخ في عظامه مثل الحديد فعلم أن فرسه كذلك قد علمت شدته ، ثم دعى الصقيل فانعله ، وكان قد أمر فرسان بني تغلب تفعل كفعله ، فلما تكاملت بنو تغلب بين يديه ، وحضرت شجعانها وخطباؤها ، ووقع القول في المشورة ، فقال امرؤ القيس بن أبان التغلبي ، وكان قاضي العرب وحاكمها فقال : إني أرى من الراي ألا تعجلوا على إخوانكم فيما نابكم ، واسألوا منهم النصفة من أنفسهم فيما جهلوا وأقبلوا عليهم اعرضوا عليهم ثلاثاً ، فإن أجابوا إلى واحدة منها وخرجوا من حقكم ، وعرفوا حق قرابتكم منهم ، فاقبلوا منهم الصلح ، ودعوا عنكم من قد مات ، واحذروا البلاء والهفوات ، وإن أبى القوم ولم يجيبوا إلى واحدة منها ولم يقبلوا ما تعرضون عليهم ، فقلدوهم البغي فيما قد سلف فحينئذ تعلمون ما تصنعون ، قال : فأجاب القوم إلى ما أشار ، واجتمع أمرهم إلى امرئ القيس بن أبان وفارس جشم نعج بن عتبة ، وطي بن كثير ليعرّفوا بكر بن وائل ويعذروا إليهم ويحذروهم مما اجتمعت عليه بنو تغلب من خلع العزار وطلبا الثأر ، فعند ذلك وثب من أوساط القوم النعمان بن قريع وكعب بن زهير وعامر بن إبان فقالوا : يقتل كليب بناب من الإبل ونحذرهم لا كـــان ذلك أبداً ، ثم التفتوا إلى مهلهـــل

فقالوا : سر بنا إلى القوم فإنا قد عرفنا ما معنا من عدتنا وعددنا ، وإن لم تسر بنا من قريب لم ندركهم فقال لهم :مهلهل يا قوم أيصعدون إلى السماء؟ قالوا لا قال : إنّما نحن وهم في أرض واحدة فلا تعجلوا عليهم ، فإن البغي مصر للرجال ، وإني لستُ أسير إليهم حتى أطلب منهم النصفة من أنفسهم وذلك أني أعرض عليهم ثلاث خصال ، فإن أجابوا إلى واحدة منها كنت قد أعذرت ، وإن أبوا من ذلك فسأسيرُ إليهم براياتِ الموتِ تحتها مواكب المنايا ، ثم دعى بالثلاثة نفر ، ودعى جماعة من بني تغلب ممن يعرف بجودة الرأي والعقل نحو خمسمائة فارس من الخيل المُسوّمة ، فقال : يا قوم امضوا إلى بني بكر ، واقصدوا مرة بن ذهل بن شيبان ، ثم أعرضوا عليه ما آمركم به ، فقالوا : وما ذلك؟ قال : تقولون له تسلم إلينا جَسّاساً وهماماً ويقيدنا نفسه ، أو يرد كليباً حياً ، أو يدفع إليكم قمر السماء ، قالوا : يا أبا حزام كيف لنا أن يدفعوا جساساً وهماماً ومرة ، أو يحيي كليباً وهو ميت ، وكيف السبيل إلى قمر السماء ، هذا هو البغي ، فقال لهم يقودون لنا جساساً أو هماماً أو مرة ، قالوا هذا هو الرأي السديد ، فسار الثلاثة النفر في خمسمائة فارس على الخيل وجودة السلاح كالنسور الكواسر والنجوم الزواهر يقصدون حي بكر بن وائل فبلغ ذلك مرة بن ذهل فصنع صنعاً عظيماً ؛ أولم وليمة كبيرة يقصر عنها الوصف ، وذلك أنه نحر خمسمائة ناقة وألفي رأس من الضان ، ودعى بني بكر بن وائل وقبائل بني قاسط ، ونقل إليهم الصنيع ، وأكلوا من اللحم شبعاً ، وشربوا من الخمور ، فلما عملت الخمر بينهم دعى جساساً وأوثقه كتافاً وربطه إلى أوساطهم ، وقال معاشر العرب وسادات اليمن ، وأنتم تعلمــون

ما صنع جساس من الأمر الهائل الذي جاء به من قتل كليب ، وقد أو ثقته كتافاً حتى تفكوه أنتم بأنفسكم وإلا سلمتموه إلى بني تغلب يقتلونه بكليب ، فلما سمع ذلك أولاده وعشيرته ثواثبوا حوله وتعلقوا به وقالوا : لا ندعك تُسلمه ، فقال ما أطلقه حتى تعطوني عهد من الله أنكم تصدقون معي الحرب ومعه ولا تسلمونه إلى عدوه ، فاعطوه على ذلك المواثيق والعهود ، فلما استوثق منهم سلموا إليهم فحلوا كتافه وقال مرة بن ذهل : نصرته والله بكر بن وائل عند ذلك ولا قعدت عنه . قال : وإن تغلب وردت بكراً ذلك اليوم فبادرت إليهم الرعاة ، وصاح الحي بأهله ،وعلا الصوت ، ووقعت الضجة في أحياء بكر بن وائل ، فأقبلت وجوه القوم وساداتها على الخيول ، وبلغ ذلك مرة بن ذهل ، وكان قد جمع سادات قومه للرأي والمشورة ، فظن مرة أن المهلهل قد قدم نحوهم بقبائل تغلب ، فتلاحقت به العرب ، واجتمعت تسعة آلاف فارس من بني بكر وغيرها ، فنظروا بني تغلب فإذا هم قليلون فظنوهم طلائع ، فلما نظرت بنو تغلب ذلك نزلوا عن خيولهم وأخذوا بمقاودها بأيديهم ، فلما نظرت بنو بكر ذلك منهم انكسروا عن خيولهم واستحيوا منهم ، ورجعوا عنهم إلى ورائهم ، وأما السادات والمقدَّمون فإنهم ترجلوا ولقي بعضهم بعضاً وتلاوكوا . فقال بنو تغلب : يا بني بكر إنكم أتيتم أمراً عظيماً بقتلكم كليب بن ربيعة سيد العرب كلها بناب من الإبل ، حقرتم قدره وهتكتم الحرمة وقطعتم الرحم ، وإنا خشينا العجلة عليكم قبل الإعذار ،والإنذار ، وأتيناكم نعرض عليكم ثلاث خصال ، فثنوا رؤوس خيولهم ، وانصرفوا إلى مُرَّةً بن ذهل ، فإذا هو في جماعة من القوم فحيوه والجماعة فأجابوهم بالتحية والترحيب ، وقالوا أهلا بكم يا بني عمنا وأصهارنا ، أما إنه لم يطلع علينا من

هو أعز منكم ولا أقرب ولا أرحم (فابتدأ امرؤ القيس بن أبان) بالكلام ، وعظم ما بينهم من القرابة والمصاهرة وقرب الدار وحق الجوار . ثم قال يا بني عمنا إنكم وإن كنتم منا عظماً فقد أتيتم أمراً جسيما تذهل منه العقول وتذهل منه الألباب ، وإنه لم يسمع قتل ملك من العرب وغيرهم بناب ،(أيقتل مثل كليب بناب من الإبل ظلماً وبغيا) ، قطعتم أرحامكم يا بني الأعمام والأصهار والخؤولة والجوار . فقال مرة بن ذهل جرأنا على هذا يا بني الأعمام ببغيكم علينا وارتكابكم لنا وسيئتكم علينا القبيحة ، ومحقرتكم لنا وأفعالكم ، ثم إن مرة بن ذهل عض شفتيه وذرفت عيناه وأنشأ يقول :

البغي فيه للمنية هَادِي = والله للأقوامِ بالمرصادِ

والبغي أخبث ما تزوده الفتى = ومزاده في الناس شر مزادِ

فقال له امرؤ القيس بن إبان : دع عنك هذا يا أبا همام من الإنشاد والمغاني والتهجي ، واذكر سبل الأولين وجد في نفسك ، ودع عنك الأمثال والأشعار وكثرة الأساطير ، فإنا نكره العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ، وإنا لنعرض عليكم خصالا ثلاثاً ، فيهن لنا الرضى ولكم فيها مخرج فقال له مرة وما هذه الخصال الثلاث ، أبدهن لنعرفهن ، قال امرؤ القيس : الأولى أن تدفعوا إلينا جساساً قاتل كليب نقتله ، فلعمري والله لم يؤثر قوم قتلوا قاتل صاحبهم إن كان لا وفاء بدم كليب ، الثانية أن تدفعوا إلينا هماما أخاه ،

وكان اسمه مقبل ، غير أنه كان إذا هم بشي فعله ينكص عنه حتى قال فيه الشاعر :

احذروا الهمام قتال العدا = إن هماما إذا شاء فعل

فإن فيه من كليب وفاء ، الثالثة إن لم تُقيدونا بأحد هذين اللذين ذكرناهما فاقدنا أنت بنفسك إن كان فيك من ديننا وفاء وللوارثين شفاء ، وهذا الذي جئناك به ، وإن كان لا يقع بدم كليب وفاءً ولا بعده على وجه الأرض . هذا وإنَّ مرة ساكت لا يتكلم مطرق والناس ينظرون إليه ماذا يقول فيما عرضوا عليه ، فقالت له بنو بكر أجب القوم يا أبا ،همام فقال والذي أقسمت به أبناء وائل لقد شق علينا فعالكم وعظم علينا خطابكم وقل فينا صوابكم ، وقد وجب علينا جوابكم وقد أحزننا مصابكم ، وأنشأ يقول :

تواعدت الأراقم واستمرت = إلى دار القطيعة والبعاد

وقالوا قد بغت بكر علينا = بأجمعها معاً وبني زياد

ثم قالوا : أجب القوم يا أبا همام غير مخذول ولا متروك ، فقال مرة : يا بني تغلب أما ما ذكرتم من تسليم جساس إليكم ليكون أروح وأبرد لكن هو ذو حمية غير حفاء ، وقد طعن كليبا طعنة هلعاً ثم خرج هارباً على وجهه فلا أدري أي البلاد إنطوت عليه ، وأما همام فأنتم تعلمون أنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة ، ولا أرى أن أدفعه عليكم بجريرة غيره أبداً ، ولو حاولت ذلك لمنعني أولاده وإخوته وهرّوا في وجهي هرير الكلاب ، وقالوا لا تقوده إلى القتل بجريرة غيره أبداً ، وأما أنا فورب البيت ما أهون علي بأن تجول الخيل بيننا غداً فأكون أول مقتول ، ولكن لكم عندي ثلاث خصال فيها خير مما عرضتم علينا ، ولنا فيها حظ وصلاح ورفعة ومخرج ، أفأبديها لكم أم اكتمها عنكم؟ قالوا ابدهن لنعلم ما هن ، قال مرة أما الأولى فأعطيكم من الإبل عشرة آلاف ناقة ، مع كل ناقة عبد وعشرة آلاف دينار وعشرة آلاف درهم وعشر روس من الخيل السوابق وعشرة أسياف وعشرة أرماح وعشرة دروع وما أردتم بعد ذلك من ديات وأقيم لكم بذلك كفيلا والضمان من بكر بن وائل ، وإلا أدفع لكم بما ذكرت رهيناً إلى أن أجمع لكم ما ضمنت وأسوقه إليكم من عندنا فهل أنتم راضون ؟ قالوا : ما نبغي ذلك ولا نرضى والثانية ما هي؟ قال : أقود لكم الفي فرس من عتاق الخيل مع كل فرس لامَة حربه ، فهل أنتم راضون؟ فغضب بنو تغلب لما سمعوا ذلك من مرة بن ذهل غضباً شديداً ، فبرز من بينهم بالكلام نعج بن عتبة ، وكان فارس القوم ، وقال : يا أبا همام بئس ما ذكرت من خصلتيك ، أترانا أتيناك لنبيعك كليباً بيعا بالإبل ، قال مرة : يا سادات العرب لي ولدان طفلان خذوهما فاذبحوهما ذبح الجذور ، قالوا : مـــا

جئناك لنبيع كليبا ملك الزمان وسيد العرب بصغار أولادك ، ويسلم لك ولديك جساساً وهماماً ، وإنك لتعلم أن جميع بكر بن وائل لا تفي بقطرة من دم كليب ، ومع ذلك إن معنا من النعم ما قد ضاق به الفضاء وملأ المستوى ، وكيف حالنا إذا قالت العرب في أنديتها يا ويلكم أهدر تم دم كليب سيدكم وسيد العرب كافة بناب من الإبل يسوى مائة درهم ، وتعرض علينا أراذل أولادك ، هيهات لا يكون ذلك أبداً ، ولا يفي بدم كليب أحد في نزار ، ثم ضربوا رؤوس خيلهم وقد لاح البلاء منهم وظهر عليهم ، فلما وصلوا إلى قومهم أخبروهم بما جرى من الخطاب وما ردُّوا من الجواب ، وقال مهلهل : وأيم الله ما كان كليب بجذور نأكل ثمنه وأرى قاتله في الأحياء ، ثم أنشأ يقول :

بني تغلب شدّوا المآزر واندبوا = كليباً وهيوا للعدو المذاكيا

جياداً يعلكن الشكيم تَخَالُها = إذا ما علاهن الليوث سعالي

قال صاحب الخبر : فلما سمعت تغلب قوله قالت : يا أبا حزام إنّا لك سامعون ، ولك مطيعون وعلى دينك مؤازرون فأموالنا وأنفسنا لك الفداء من كل حادثة ، ورداً يا ابن الكرام السادة الملوك القادة ، فسر مهلهلاً كلامهم ، وفرح بقولهم ، وركن إلى حديثهم ، قال : وإنَّ بكر بن وائل سارت تريد معداً وعكا ، وقحـــطان وذكروا الملك وعظمـــوه ،

وتحدثوا بذلك في محافلهم ، فارتاع لذلك المخدرات ، وخرجن يندبنه من خدورهن حاسرات ، وحَزِنَّ عليه وشققن الجيوب ، وارتاع لذلك جميع أولاد معد بن عدنان وقال رؤساء القوم لبكر بن وائل يا ويلكم تقتلون سيد العرب وتستنصروننا على طلاب وتره هيهات ما لكم منا من نصير ، واعتزل كثير من قبائل بكر بن وائل تلك الحروب ، ولم يدخل أحد منهم فيها ، وتركوا معاونة شيبان في حروبهم ، وكرهوا الظلم والعدوان وخشوا البغي فظعنت العرب ممن كره حرب تغلب ، فأول من ظعن عبد القيس ، وظعن في أثرهم بنو لخم بن صعب بن بكر ، وظعن في أثرهم بنو حنيفة بن صعب بن علي بن بكر ، فظعنت هذه القبائل كلها متبعين لعبد القيس خاذلين لبكر بن وائل ، فأقامت بنو بكر بأجمعهم في الرأي معدين مستعدين لحرب تغلب ، لم يعتزل منهم غير الحارث بن عباد فارس العرب كلها وزعيمها ، وهو أول من عظم قتل كليب واعتزل الحرب وفارق قومه في جماعة كثيرة من بني بكر بن وائل في سبعة آلاف فارس ، وقال : لا ناقتي فيها ولا جملي فذهبت مثلا ، وحلَّ حزام سَرجه ، ونزعَ وَتَر قَوسِه ، ولم يشد لها عروة ولم يحمل فيها عقدة ونزع سنان رمحه ورفع سيفه ، واعتزل القوم وأنشأ يقول :

أبلغ بني بكر مغلغلة = ليس الأراقم من بني عجل

فأبوهم أبي وحالهم = خــالــي وكلُّ أصـولـهـم أصـلـي

قال : وتفرد معهم يداً واحدة ، ولحقت بهم علقمة بن قاسط في جماعة من بني حنيفة وانضمت إلى بني تغلب إلا الحارث فإنه انفرد عن الفريقين ، وقال : كلهم عندي سواء ، ولم يبق مع مرة بن ذهل غير قبيلته وعشيـــــــــــــرته خاصة الحيين عزلة أحد من القبائل ، فلما ذكر مرة بن ذهل في شعره البغي والظلم وعواقبه أرسل إليهم بشعر ثانٍ يحثهم ويوبخهم في ترحلهم عن عشيرتهم ، وتركهم إياهم يريد بقوله عبد القيس وبني لخم وبني ضبيعه والحارث وأنشأ يقول :

إن لخيماً قد أبت جهرة = أن يرفدونا رجلاً واحداً

والحيَّ من يشكر ما بالهم = لستُ أراني لهم حَامِداً

قال الكلبي : فلم يرد ذلك عنهم شيئاً ، ولم يزدهم إلا تلهفاً وتأسفاً على قتل كليب ملك العرب لما قتل بغياً وظلماً بناب من الإبل ، هذا وإنّ بني تغلب اجتمعوا إلى المهلهل وساروا بيتاً واحداً . وسارت إليهم النمر بن قاسط ، والنمر قبيله بمثل عددهم ، ونزلوا عليهم وخالطوهم ، وسارت النمر بن قاسط وبني تغلب بيتاً واحداً على بني بكر بن وائل ، وكان رئيس النمر يومئذ وصاحب لوائهم سامر بن عامر الصحبان ، وهو الذي عقد الحلف ربيعة ومضر بحسب ما كان بينه وبن ثعلبه بن عكابه حين قتل ابنه الصحبان وقد ذكرنا ذلك في أول الحديث ، وكان النمر توارث الضغن على بني ثعـــلبة

حتى امكنتهم منهم الفرصة حين قتل جساس كليباً فساروا إلى بني تغلب ، فلما نظر مهلهل اجتماع تغلب والنمر بن قاسط (بيتا واحداً سره ذلك وأبهجه وأيقن على بني شيبان بالنصر والظفر والغلبة والأيد) ، وأنشأ يقول :

أهل مبلغ عنِّي الغَدَاةِ مَعَاشِراً = كلاماً كضرب الْمُرهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

يخبرهم أني بشاري طالب = ولو كانت الأوتـــار فــوق الـتعـالـم

وقعة الذنائب

قال الكلبي : وإن المهلهل استدعى فرسان بني تغلب وحلفاءهم وأمرهم بالأهبة والاستعداد والتجرد لحرب القوم ففعلوا ذلك ، وعبّاً جيوشه ورتب مواكبه ، وجعل كل بني نزار ، وسود فيهم سيداً ، وسارت في جحفل لجب تضيق عنه الفلوات بالعدة والعدد ، وشمر ساقه للحرب ، وحلف بالطواغيت وأنصاب وائل ألا يغسل رأسه من جنابة ولا يشم طيباً ولا امرأة ولا يدهن وفرته ولا يخلع عدته حتى يقتل بكليب ألف فارس من فرسان بكر بن وائل وأنشأ يقول :

لما نَعَى النَّاعي كليباً أظلمت = شمس النهار فما تُريدُ طلوعاً

فبكى المهلهل حسرة وتوجع = لفراق ماضي ما له مَرجُوعا

قال الكلبي : فبلغ بكر بن وائل ما حلف به المهلهل من قتل ألف فارس من ساداتهم بكليب ، فقال في ذلك (سهيل بن شيبان بن ربيعة بن مالك بن كعب بن بكر ، واسمهم في العرب بنو الدئل) بن حنيفة بن لجيم بن كرام عرفوا بها وأنشأ يقول :

قد تمنت تغلب أمنية = هي منها في السماء ذات البروج

إن ترم تغلب تلقى حربنا = تقلع الأبطال من فوق الشروح

قال : وإنَّ المهلهل سار بجموعه فسمعت بمسيرة بكر بن وائل ، فاجتمعت كلها على ماء يقال له الذنائب ، فأوقع بهم المهلهل بن ربيعة وقعة عرمرمية صلبة هائلة مهولة التقت فيها الفتيان ، ووقع بينهم ضرب كحريق النيران ، فنصرت بنو تغلب والنمر بن قاسط على بني بكر بن وائل وظفروا بهم ظفراً شديداً وأبلوا بلاء شديداً وقتلوا منهم قتلا ذريعا حتى أصابت بنو تغلب حاجتهم وبلغوا شهوتهم منهم ، وجعل المهلهل يحمل على صفوف بني بكر فيخرقها ويقتل من يشاء منهم ويطعن فيهم يميناً وشمالاً وأنشأ يقول :

حلفت بـالله يــمــيــنـــا بـــرة = حلفة حُرّ من حصانٍ حُرّة

كُلٌّ قتيل في كليبب غُرَّة = حتى ينال القتلُ آلَ مُرَّة

قال : ثم حمل على ميمنة بكر فجعل يقتل فيهم وأنشأ يقول :

كل قتيل في كليب أحلام = حتى يَنَالَ القَتلُ آل هَمامِ

يعمهم ضرب دراكا في الـهـام = ضرباً يبيحُ البطل القمقامِ

ثم حمل على ميسرة بكر فأسرع فيهم القتل وأنشأ يقول :

كـل قـتـيـل فـي كـلـيـي أمـــلاس = حتى يَنَالَ مُرَّة وجسَّاس

نعم وهمــامــا بـلـى بإتـعـاس = وأشقى الصدر لسائر الناس

قال الكلبي : وسار مهلهل يقتل فرسانها ويروي شجعانها ويكر فيهم كما يكر الأسد الضرغام على الشاة ، فتداعت بنو بكر للهزيمة ، واذعنوا بالفرار ، فحينئذ صاح همام بن مرة يا آل بكر الصبر على تجرع غصص الحمام ولا الفرار من بني الأعمام ، ونادى بعضهم بعضاً فنزلت خيله من كل جانب واقتتلوا قتالاً شديداً ، فعندها حمى الوطيس وذهلت النفوس ، وحمل مهلهل على مرة بن ذهل وطعنه طعنة جدله صريعاً يخور في دمه ، وحمل نعج بن عتبه على ضيعة بن ثعلبة فطعنه فأراداه قتيلاً ، وحمل عمرو بن الزبير وكان من فرسان بني تغلب على واحدٍ من أولاد مُرَّة فقتله ، وحمل مهلهل على النّعم فقتله ، فلما قتل هؤلاء الخمسة الأمراء انـــــهزمت بنو بكر وولـــوا

الأدبار ، فلحق كعب الغوار بن مرة واحداً من أولاد مرة يسمى زهيراً فطعنه طعنة دق بها صلبه ، وتبعهم المهلهل في أبطال بني تغلب والنمر يسوقهم سوقاً عنيفاً ، وقد حطموا فيهم الرماح واعملوا فيهم الصفاح ، والمهلهل في أعقابهم يسوقهم سوقا ويحثهم حثاً ويقتلهم فارساً بعد فارس .فلما عاين ذلك الهيثم بن ذهل تمنع في آخر خيله فحمل عليه المهلهل فطعنه فارداه عن ظهر جواده فلما وقف عليه وهو يتشحط في دمه قال : فيك شفاء من بعض غليلي ، أما إنك لو دريت بهذا المصرع لقتلت جساساً في فعله ، ولهربت في فجاج البلاد من قبيح فعله ، ولم يزل مهلهل يطردهم بالقنا حتى بلغ منهم أمنيته وقضى منهم حاجته . وهذه أول وقعة جرت بينهم قتل فيها سروات بكر بن وائل وبهاليلها ، وذكر أنه قتل منهم مرة بن ذهل وأولاده الثلاثة ونفيل والحارث ، وقتل من بني تيم اللات بن ثعلبة ؛ ضبيعة بن ثعلبه وجبر بن مالك بن قريع وعساس بن مالك ، وهمام بن شرحبيل ، وقتل مرة بن ضبيعة قتلهما عتاب بن سعد بن زهير بن جشم جد عمرو بن كلثوم ، وقتل من بني ذهل بن شيبان ضبيعة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، وقتل شقيص وعبد القيس بن عبد شمس بن شعثم ، وقتل من الشعثمين ابني ذهل سيدي بني ذهل ، وكانا مطوافين مشهودين . فلما قتل من قتل من بكر بن وائل غير مَن ذكرنا ممن يكثر ذكره ويطول شرحه ، وقتل من تغلب رجلان خالد بن حمد قتله نبهان بن ربيعة بن ذهل ، والآخر قبيس بن همام قتله الحارث بن مرة ، وقتل من بني النمر ثلاثة نفر ، وكان بعد هذه الوقعة وقعات خفاف ومغازي ، وكـــان

الغلبة فيها كلها لبني تغلب والنصر يحدوهم واشتدت الهزيمة والخزلان ببكر بن وائل ، فلما قتل مهلهل مَنْ قتل أنشأ يقول ؛

يا آل بـكـر انـشـروا لي كليباً = يا آل بكر أين أين الفرار

يا آل بـكـر انـشـروا لي كليبا = صرخ الشَّرُ واستبان الفرارُ

قال : فلما ولّت بنو بكر رجعوا إلى مستوطنهم ، وولوا أمرهم همام بن مرة ، وكان همام فارس بكر ، وكان ذا حمية ونخوة وشجاعة فلما قلدوه أمرهم قام مقام أبيه . ثم إنّ بني بكر بن وائل أنكروا ما أصابهم وعظمت فجعتهم ، واضطربوا لقتل ساداتهم ، وداخلهم الرعب من ناس بني تغلب ، فأرسلوا إلى أكابرهم يخبرونهم ما أصابهم من بني تغلب فجاءتهم الفوارس جرائد على الخيل والإبل ، واجتمعوا أولاد ثعلبة بن عكابة كلها إلى الحارث بن عباد ورهطه ، وساد القوم يريدون بني تغلب والنمر بدارهم ، فبلغ بني تغلب والنمر اجتماعهم وسيرهم إليهم بطعنهم ، فالتقوا على ماء يقال له واردات .

وقعة واردات

قال الكلبي : والتقى القوم هنالك واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان أعظم قتال لهوله ، فكان النصر والظفر والغلبة ذلك اليوم لبني تغلب والنمر بن قاسط على بكر بن وائل ، فشا فيهم القتل وكثر فيهم الجراح ، وكان أكثر القتل في بني لخم وذهل بن شيبان قتل منهم مائة وأربعون رجلاً ، فبينما القوم في أعظم القتال وأسرف نزال ، إذا التقى همام بن مرة والمهلهل بن ربيعة في جولان الخيل والطراد ، فأوقفا فرسيهما ، وأمسكا عنانيهما وركزا رمحهما ، وحيّا كل منهما صاحبه من غير معانقة ، وتنفسا صعدا ، وتحسرا كمداً ، واسبلا دمعيهما على نواصي فرسيهما وأمسكا عنانيهما وركزا رمحيهما فقال :همام يا أبا حزام ما الذي غيرك فقال : جلد ونحول جسد وانحراق كبد وإضرام نار وتكدر عيش ، لما جرى مما تنفطر منه المرائر غليلا وألفى قتيل ولا ألوم فقال همام : وأيم الله لقد فجعني مصابك وعظمت على رزيتك ، وإن كنتُ قد رزيت بأعظم من رزيتك ، ودهيت بأعظم ما دهيت به لذهاب الأهل وتشتيت الشمل ، ألا وبيت الله ما نالني فيهم مثل ما نالني من فراقك وبعادك ، وما نصرت أخي جساساً إلا لصغر سنه وقرب رحمه وخوف والده ، وما نصرته إلا للحسب المؤبد . فقال : يا آبا الحارث دع عنك هذا الأمر والمعذرة فيه والعتاب فأعظم ما يكون معرفة الأحباب ، ثم صرخ بصوته في الخيل وهي في أشد نزالها واحتمالها ، وكان جساس بن مرة قد نظر إليهما وهما واقفان ، فلما افترقا حرف رأس فرسه إلى أخيه همام ، وقال : يا ابن أبي رأيتك واقفاً

مع صاحب الوتر يعني المهلهل ففيم كنتما ؛ أبعد ما ترى هل عاد فيكما أو بينكما خُلة أو مودة ، فقال له همام ما أدري ما تقول ، وأيم الله لقد ألفحتها ناراً وحرباً عوانا يرى منه الموت الزوام ويشيب لهولها الطفل الغلام يا جاهل تذكر ما لا عزاء له ولا يقبله عقل ولا يندمل فيه كظوم القلوب ، ولا تذهب فيه حرارة النفوس ، باق مع الزمان ما اختلف الجديدان وما عسى أن يلحق القوم بأعظم مما نالك ، فيالها من كلوم ما برأت ومن حرارات ما طفيت ومن نار ما خمدت حتى يكون بين الجيشين ما يكون ، ثم إنهما افترقا متعارضين والخيل في عجاجها مقبلة ومدبرة . هذا والحرب قد قامت على ساق وقد ضاق بهما الخناق ، وكان همام بن مرة أول قتيل بين الحيين بعد فراقه المهلهل قتله ناشرة بن غواث التغلبي خدعه احتيالاً عليه ، وذلك أن ناشرة كان قد رباه همام يتيم وكفله ، وكان من حديثه أن بني تغلب أجدبت في بعض السنين ، وكانت أم ناشرة في تلك السنة قد وضعته فمر بها همام ساعة ولدت وهي تقول للقابلة اقتليه فما بثدي قطرة من اللبن ، فقلن لها النساء ويحك إنه ذكر ، قالت : وإن كان ذكراً ، إني أخاف عليه وعلى الضيعة والقلة ، فقال همام : ويحك لا تفعلي ، فما يكفي ولدك لقحة عزيزة وجمل ذلول قالت بلى ، فدفع إليهما اللقحة والذلول وأنزلها بجواره ونشأ ناشرة في كنف همام بن مرة ، فلما كبر حمله همام على الجمل وفرسه فأقام معه يعدو ويقاتل معه حتى قتل جساس ويقاتل معه حتى قتل جساس كليب بن ربيعة ، وكانت أم ناشرة مولاة لهمام بن ربيعة فلما قتل كليب داخلته الحمية والعصبية لقومه بني تغلب وعظم القطيعة ، فشتت بين الحيين ، فنسي التربية . قال صاحب الحديث : فنظر ناشرة بن غواث لهمام بن مرة يومئذ وقد أسعر طعناً وضربا ورد الخـــيل وهي في

ركضها وفرطها وطرادها ، وكاعت عنه الفرسان وخشيته الشجعان ، فاعترضه ناشرة فأرداه بطعنة ، وخرق درعه ، ووقعت في القوم " ظهره وخرجت من صدره فخر ناكساً للحيين ، ونادى وثارات كليب ، وحرف فرسه فلحق بقومه بني تغلب فدخل معهم في صفوفهم ، فأخبرهم بقتله فسروا بذلك ، وبلغ ذلك أم ناشرة فصاحت بالويل والثبور وصكت وجهها شقت جيبها ، وجعلت تدعو على ولدها و تندب هماما ، وأنشأت تقول :

ألا غالت الأيام طعنة ناشره = أناشر لا زالت يمينك فاتره

ولا زلت في نارٍ يَهزك حَرُّها = لقتلك هماما أمين عشائره

قال صاحب الخبر : فبينما المهلهل في كرّه وفرّه ومَرَّة وطراده إذا هو بهمام صريعاً والخيل تطؤه بسنابكها ، فانكر ذلك ، وذرفت عيناه بالدموع ، وفاض على صدره ، ثم قال : وأيم الله : لقد كان كليب بمنزلة اليمين وأنت بمنزلة الشمال ، وتالله ما أرى العيش بعد همام إلا الكدر ، ثم ثنى رجله عن ظهر فرسه في ضنك موقفه ، وعنده رجال تحميه ، والنمر بن قاسط واقفه معه ، فدنا من همام وجلس عند رأسه وهو يبكي عليه ويقبل بين عينيه وينفض التراب عن وجهه ويقول ما قتل في أبناء وائل بعد كليب أكرم منك وأعز على فقداً وقال وبيت الله لا اجتمعت بنو وائل بعدكما على صلح ،

ولا استقرت بهم دار ، ولا أوقد لهم نار ثم قال : كيف لنا أن نواريه عن سنابك الخيل . فقال له بنو عمه ؛ قم فاركب واسرع ودع عنك هذا الأسد ، فلولا هذا الأسد الأقعس والفارس الأهيس ما قتل جساس كليبا ، ولكان جساس أحقر العرب وأرذلها ، فقم واركب جوادك فإن الأمر فظيع ، وسيكون ما بعدها أشد ، فنظر الخيل قد أتت طاردة مطرودة وقالت له بنو تغلب اركب فرسك يا ابن الفاعلة فقد أتتك فرسان الخيل ، فبادر إلى فرسه فركبه وعيناه تهملان بالدموع ، فقال له أسد بن عُلاسة التغلبي : وأبيك لقد رق قلبك وصلب سبيك فقال : إليك عني فوبيت الله ما كان لي أخ مثله ، ولقد عشنا في زمان خصيب ولم يكتم عني سراً ، ولقد كان عندي الزمن الزلال على الكبد الحرا . وكان همام قد حمى بكر بن وائل في يوم واردات فلما قتل انهزمت بنو بكر بن وائل ذاهبة جالية قد عمل فيهم القتل والجراح ، وأسرعهم نار وطحنتهم خيل بني تغلب والنمر بن قاسط بأسيافهم تسوقهم سوقاً عنيف ، وأخذوا في إثرهم يقتلون ويأسرون ، وقد حطموا فيهم الرماح ومكنوا في رؤوسهم الصفاح ، ومهلهل يكر فيهم مقبلاً ومدبراً كرّ الليث في الفريسة من الضان والمعز وهو يرتجز ويقول :

إن دماء القوم شرب راح = لكنها مشعشعة الرياح

ولا صفاح القوم بالصفاح = لكن ببيض الهند والصفاح

قال الكلبي وعادت بنو تغلب والنمر بن قاسط بالغلبة والظفر والإقبال وحل الأمور والأسلاب ظافرين منصورين وأنشأ مهلهل يقول :

ونحن صبحنا حتي بكر بن وائل = على واردات والضحى لم يشعل

مسومة شعث النواصي وفوقها = من القوم منا كل ليت موكل

وقال أيضاً مهلهل :

يا آل بكر انشروا لي كليبا = واعلموا أنكم لقيتكم عذابا

وضرابا بمر هفات حدادٍ = يفلق الهام وقعهنَّ صلابا

فأجاب المهلهل على شعره جساس يقول :

اسجع الزُّورَ كيف شئت عَذَابا = صرت في الناس كاهناً كَذَّابا

نحنُ نُـديـكـم وأنـتـم تـبـاهـون = علينا فيا لهذا تبابا

قال الكلبي : فبلغ مهلهلاً قول جساس وجوابه فامتعضه ذلك وتحسر على أخيه ، وهز لحيته أسفاً على جساس بن مرة وقال : ينح على بنفسه فيا ويل أمه إن ظفرت به في مجال الخيل في الفريقين واختلاف الميدان ، فيا لها من موته يموتها ونعمه يفوتها ، ثم طفق يعرك كفيه ويعض شفتيه ، ولما جنّه الليل أنشأ يقول :

ياليلة طالت وطال = ظلامها إذا لم يُضيّا

وأتت لها الجوزاء سال = طعة واردفها الثرايا

قال الكلبي : وإن جساساً لما قتل أخوه يوم واردات ، وكان فارس بكر بن وائل كلها بعد الحارث بن عباد سَوّده قومه وقدموه عليهم وكان فارسهم وسيدهم فلما مكث مهلهل في قومه ظافراً غانما على بكر بن وائل شافياً صدره :

على أن بـكــراً هـم ابــتــدوا = كليبا فما هو بالعايد

وقعة عنيزة

قال الكلبي : وإن بني بكر وبني تغلب جرت بينهم وقعة على ماء يقال له عنيزة ، وذلك أن القوم اجتمع بعضهم ببعض ، فالتقوا هنالك ، واقتتلوا قتالاً شديداً وكثر القتل ، وقتل من الحيين مائة وسبعون رجلاً ، وكان أكثر الجراح يومئذ في الخيل بحسب ما كان القوم حصنوا أنفسهم بالحديد ، وعدلت في ذلك اليوم فئة من بني بكر بن وائل فطرقوا حلل بني تغلب والنمر بعد استقبال الحرب ، فوجدوا الحي خالياً من الرجال ، ووجدوا امرأتين تسقيان نعاجاً ، فانتزعوا اللقاح منهن وبادروا بقتلهن ، أحديهما عجوز تسمى شمسة بنت عمرو بن الحارث ، والأخرى رملة بنت الحارث بن مالك ، وفي ذلك أنشأ المهلهل يقول :

عجبتُ لقوم يسكنون إلى الكبر = وكانوا قديما يسكنون إلى الصَّغَر

انقادوا جميعاً في الملامة واعتدوا = وقد جل أن يعشى البصير من البصر

وأنشأ أيضاً يقول :

أَضحَى كُليب وحيداً لا يُكَلِّمني = تحت الضريح عليه تُـربَـةُ الـقـاع

كان اللبيب إذا ما الخيل يشمصها = عند اللقاء طعان بَعد إفزاع

وقعة عويرضات

قال الكلبي : : وإنّ المهلهل أقام على بني بكر بعد أيام عنيزة أيام ، ثم جمع لهم سرية وجموعاً وسار إليهم في عدد كثير ، فالتقى على ماء يقال له عويرضات ، فاقتتل القوم أشد القتال ، وصبر بعضهم لبعض حتى كادت بنو تغلب أن تنهزم فحينئذ حمل النعمان بن قريع فارس الحروب على الليث بن ثعلبه فضربه ضربة جدله صريعاً ، وكان الليث من فرسان بكر المذكورين بالجودة والشجاعة ، وحمل عمرو بن الزبير التغلبي على سهل بن عمرو بن ذهل طعنه فقتله ، فعندها انخذلت جميع بني بكر ، ونكسهم بنو تغلب والنمر بن قاسط فهزموهم ، فعند ذلك لحق نعج بن عتبة عمرو بن مالك بن نفيل الهذلي فطعنه فأرداه قتيلا ، ولحق مضر بن ربيعة أخو المهلهل مظعون بن جبر بن ثعلبه فضربه فقطع يده وغارت فرسه ، فحينئذ انهزمت بنو بكر بن وائل ذاهبة مرعوبة لا يلوي بعضهم على بعض ، والمهلهل وأبطال بني تغلب والنمر يطردونهم طرداً عنيفاً ويسوقونهم حتى أوصلوهم النساء ، فهم المهلهل أن يقتل منهم مثل ما قتلوا يوم عنيزة ، ثم رآه سبة وعاراً فسار فاسترجع وكف عن قتلهن ، وسبى من الظعن أربع نسوة ، ليرى فيهن رأيه ، وكان فيهن ليلى بنت شريك الذهلية ، فتعلقت بلجام المهلهل وقالت له : ماذا يا ملك العرب وابن ملكها ، تقتل جاهلها ولا تعذر غافلها ولا يهتك ستر ربات الحجال مثلك يا سيد العرب ، أعيذك أن تقتل ذوات الخدور وربّات الستور ، أجرنا من بأسك ، أتؤخذنا بما فعل السفهاء منا يوم عنيزة فتفعل ما أنكرت فقال لـــها المهلهل إن

منكم الابتداء وإليكم الانتهاء فلا يستقبح عليكم الاعتداء ، فلم يعتد عليكم إلا شر جيل وأخس قبيل ولكن سأعفوا عنكم اليوم ، ولي بعد ذلك حكم ، ثم أطلق سبيلهن فلحقن بأهلهن ، فلما وصلن قالت ابنة شريك الذهلية بمسمع أهلها توبخهم وتعيرهم بفرارهم عنهن وتهيجهم على بني تغلب والنمر وانتحبت في نادي قومها تقول :

ألا سائل بني بكر بن جشم = وَمَا لاقوا بيوم عويرضات

ليــوم لـــم يــر الــفــتــيــان فيـه = أشد في البلاء على الكماة

قال : ورجع من غزوة عُويرضات ظافراً غانماً إلى أهله يرثي أخاه بهذه الأبيات :

يا عين فابك كليب الخير جاهدة = يا قوم من عاذري في الحي من بكر

يبكيهِ كُلُّ فَتَى عز ومكرمة = وكلُّ ذي فخر في قومه فخر

قال الكلبي : ثم كان بعدها وقعة الحيوين وما كان فيها : فأقام المهلهل أياماً في قومه بعد يوم عويرضات حتى أراح واستراح واشبع خيله وأصلح عدته وسار إلى بنــي بكر ،

فالتقوا على ماء يقال له الحيوين ، قال فاقتتلوا قتالاً شديداً كقتالهم في سائر أحوالهم ، وكان النصر والغلبة لبني تغلب والنمر على بكر ، وعاد المهلهل ظافراً يرثي أخاه كليبا بهذه الأبيات :

أكليب ليتك من مكانك تخرج = وتقول للركب العجال يُعرّجوا

حتَّى تسير بهم نَهَـارك كُلَّه = وتقول قد ذهب النّهارُ فادلجُوا

وقعة طوام

قال الكلبي : فأقام المهلهل بين قومه بعد وقعة الحيوين أياماً يسيرة ثم سار بجموعه فسمعت بنو بكر فساروا في لقائهم ، فالتقوا على ماء يقال له طوام ، قال فاقتتلوا قتالاً شديداً فسمعت يشكر بقتالهم فساروا إليهم وشهدوا قتالهم فقاتلوا قتالاً عظيماً ، ولم يلبثوا إلا ساعة من النهار فانهزموا أشد الهزيمة ، ولحقت بهم بنو تغلب يقتلون ويأسرون ، وكان أكثر القتل في بني يشكر ، ورجع المهلهل ظافراً غانماً مؤيداً على أعدائه وأنشأ يقول :

جلبنا الخيل من شرقي نجد = تقارعُ بالقنا مثل النَّعَامِ

جلبناها ثلاثاً في ثلاث = إلى أن أوردت بحشا طوام

وقال مهلهل أيضاً :

ألا هل مُبلغ عَنِّي سَدُوسا = ويشكر إذ عَمَين عن الصواب

صبحناهم بها شَعَواء عَوَانا = تعلمهم بها نَبحَ الكلاب

وقال أيضاً :

أبلغ لديك بني شيبان قاطبة = إنا صرعنا على الخَدِّين هَمَّامَا

وَ مُرّة وابنيه قد تركتهم = في معشر النسور الجو إطعاماً

وقعة الشعتمين

قال الكلبي : وإن مهلهلا أقام في أهله دهراً طويلا لا يغزو بكراً ولا يذكرهم ، ثم إنه شمر للمسير إلى بكر فبينما هو في غزاته إذ مر بعمرو بن الحارث وهو في إبله ، فلما عرف المهلهل ولى هارباً ، وأقبل المهلهل ومن معه حتى هجم على بيت من بني بكر وهم نزول على ماء يقال له الشعتمين وهو في نهاية من النمر بن قاسط فالتقى القوم واقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت بنو تغلب والنمر بن قاسط ، واستباحوا ما كان في تلك الحلة ورجعوا ظافرين .

وقعة طفحة

قال الكلبي : وإن مهلهلا سار بمجموعة من بني تغلب والنمر إلى قبائل بكر بن وائل فاقتتلوا على ماء يقال له طفحة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر الفريقان معاً ، فلما حمي النهار وثار الغبار ولت بنو بكر الأدبار وانهزموا أشد الهزيمة وحمى بعضهم بعضاً ، وحمى فرسانهم على أعقابهم ، وقتلوا من أبطالهم جماعة كثيرين ذلك اليوم ثم راحوا غانمين ظافرين ، وراح مهلهل يذكر كليباً ويرثيه بهذه الأبيات :

أكليب بعدك لا النُّ هُجُوعا = إنِّي لآتِي اليوم كُلَّ مَنوعا

حتى أبيد قبيلة بقبيلة = وأقد هاماتِ الرّجال قطوعا

قال الكلبي : ثم إن المهلهل أرق ذات ليلة وأخذه الفكر فقام في آخر ليلته فركب فرسه وجمع بني تغلب والنمر ، وساروا في سيرة حسنة يطلب الغارة على بني بكر ، فجاز في طريقه بحلة من قومه منتزحين عن حلل بني تغلب يرعون ويسقون الماء ، فاستنهضهم المهلهل معه فذكروا أن لهم شغلاً يمنعهم من السير معه فقال : يا بني زهير ، إن أبيتم الغارة فارحلوا من محلكم هذا ، فإني أريد الغارة على بني بكر ، وإني لا آمن عليكم

عدوكم فيقتلونكم فيكون علي عاركم ، فقالوا له : لا تشمل الحرب إلا من خباها فذهبت مثلاً ، قال : وسار المهلهل حتى أتى ديار القوم فوقع بحلة جامعة لبني قيس بن ذهل بن شيبان على غرة منهم فقتل كل رجل كان في الحلة والصبيان أجمع ، ولم يترك في الحلة عين تطرف غير نسوة حاسرات حزينات ، ثم حمل معه رؤوس القوم على ناقة يقال لها أم الدُّهُيم ، وكانت العرب تضرب بها الأمثال فيقولون أشأم من أم الدهيم ، ويقولون جاءتكم الدهيمة ، وعاد المهلهل سالما غانما وقد أصاب من القوم حاجته وبلغ أمنيته ، وجاء بما كان معه من الغنيمة حتى مر بحلل بني زهير بن جشم بن تغلب وهم مقيمون ،بدارهم فنثر تلك الرؤوس بين الحلل ، فانتبه القوم ، فنظروا إلى الرؤوس فإذا هي رؤوس الفرسان المشهورين ، فهدموا دارهم ولحقوا بالمهلهل ، وانضموا إلى بني تغلب ، فلم ينفردوا عنهم بعد ذلك لرعي ولا سقى ، وسار المهلهل إلى أركانه سالماً غانما وأنشأ يقول :

إنِّي قتلتُ قيساً في ديارهم = ذبحا ستنبئ من لونها العلق

وقد حلفت يميناً غير كاذبة = قول امرئ ليس في موعوده مَلَقُ

وقعة أبانين

قال الكلبي : فأقام بعد أن هجم على حُلة بني قيس بن ذهل بن شيبان وقتل رجالها وسيدها ثعلبة بن عوف بن مالك بن صعصعة من بني قيس بن ذهل أنكرت ذلك بكر بن وائل واجتمعت وانضم بعضها إلى بعض بني حنيفة ويني عجل وبني لخيم وبني عبد القيس وساروا يطلبون بني تغلب والنمر فسمعت تغلب بمسيرهم واجتماع كلمتهم ، فساروا يطلبونهم إلى أبانين ، و هما جبلان من جبال الشرق ، فاقتتلوا عليه قتالاً شديداً ، فقتل ذلك اليوم من الحيين عالم كثير ، وكان رأس بكر بن وائل في ذلك اليوم وصاحب لوائها خال مهلهل المجالد بن سرح بن شيبان بن حنيفة بن حارثة بن نفيل بن غنم بن كعب بن يشكر ، فدام قتالهم ذلك اليوم إلى أن جنّهم الليل ، فلما أصبحوا تداعوا للحرب والقتال . فلما انتصف النهار انهزمت بنو تغلب وثبت المهلهل وإخوته مُضَر وعَدَي والحارث ، ونعج بن عتبة وسالم بن كعب بن زهير من تغلب والنمر ، والسّمال بن قريع ، وأمثالهم من أبطال تغلب والنمر على أعقاب المنهزمين ، فتكاثرت عليهم الخيل فانهزم القوم وحمل المهلهل ولم يولهم دبره ، فتكاثرت عليهم الخيل من كل جانب فاثبت جريحاً ، وطعنت فرسه فتقطرت ، ولم يجد مركوباً غيره ذلك اليوم ، فألقى المجالد بن سرح نفسه عليه ، وقال له استأسر فإن تكن المهلهل فأنا المجالد بن سرح ، فأسره المجالد وأتى به أسيراً إلى قومه فقالت له بنو بكر من أسيرك أيها

الفارس المشهور والسيد المذكور ، فقال لهم : لقدر معرفتي به أسرته ورغبت في الحياة والإبقاء منّي إليه . قال : وعادت بنو بكر وقد ظفروا على تغلب والنمر ، فانطلق المجالد بالمهلهل فأحسن إليه وأكرمه حتى برئ من جراحه وبقي المجالد يتفكر في أمر المهلهل ، ويدبر الرأي ويقدمه ، وفي كل يوم تأتيه وجوه بني بكر وأشرافها يطلبون منه المهلهل ويأمرونه بقتله والراحة منه ، ويقولون له : أيها السيد المذكور نحن نعطيك في أسيرك ألف ناقة سود الأحداق طوال الأعناق ، وتمكننا منه نقتله ونستريح منه إلى آخر الدهر ، واعلم أنك إن خليت سبيله فسوف تهلك وتهلك بنو بكر طراً فإنه مبيد الأقيال ومردي الأبطال فاقتل قاتل الرجال الطوال

قال الكلبي : فكره المجالد ذلك من قولهم ، وقال : حاشا وكلا ، فإني قد أسرته ورحمته وله مني رحم موصوله ، فاعرضوا عني فلي فيه أمر ، ووعدهم موعداً .الكلبي : فأقام المهلهل عند خاله أياماً ، ثم إنَّ المجالد أقبل راجعاً من عند القوم ولم يطمع في قتل المهلهل ، وذكر رحمه وفصاحته وشجاعته وكرمه وفكر في نفسه وقال : أقتل ابن اختي ودمه موصول بدمي ولحمي ، وسيد قومه ومأوى عشيرته رفد الرافد وجفنة الوارد؟ وتالله ما تحملني نفسي أن ابتدي إليه قبيحاً ، وتالله لأطلقنه وأفكن أسره ولأصاهرنه ولو غضبت بنو بكر ، ثم إن المجالد دعى من ساعته ووقته ابنة له فائقة في الحسن والجمال وصلة ،الحالة وقال انطلق إلى ابن عَمّتك المهلهل فقد زوجتك به على شرائط تقولين له ؛ منها بأن تصلح بين قومك وقومي ، وتعود إلى عشيرتك فقد أصبت حاجتك وبلغت أمنيتك . فقامت ابنته المجالد من وقتـــــها في

إصلاح شأنها ، وما يكون من الحلي والزينة والحلل فوصلت إلى المهلهل وهي في زينتها ، واعلمته بالذي أرسلت به وما شرط أبوها عليه ، فلما سمع كلامها اشتد غضبه ونادى بأعلى صوته وأذلاه يا بني جشم ، تعرضون على المهلهل نساءكم كي يصبو إليهن ويسر بهن وكليب مُضَرج بالدماء ، هيهات هيهات لا يكون ذلك أبداً ، وقد غدرتم بكليب ، ألم يعلم أبوك أني قد آليت على نفسي بديني ودين آبائي أني لا أدهن وفرة ولا أشم طيباً ولا ألائم النساء حتى أدرك ثأر أخي كليب وأصيب فيه وطري ، ما دام لي قوة فقالت : تالله ما يكفيك ما أصبت ، وتالله ما على الأرض أشأم منك ولا أمضى حكماً ، إلا أن المجالد قد صرف همه إليك ، وأعرض الحيل عليك فأرسلني إليك ، فقال إليك عني لا أراك فلا ألوي على خليلة أبداً ما بقيت نفسي وقبضت يميني على قوائم السيف ثم انتحب انتحابا عاليا وأنشأ يقول :

جللوني يا آل تغلب حرباً = جَعَل النَّفس عندها في وثاقِ

فإليكِ ابنة المجُالد عنِّي = لا تعاط العناق من في الوثاق

قال الكلبي : ثم إن مهلهلا قال : اذهبي إلى أبيك قولي له : يقول لك المهلل لا حاجة له فيما عرضت عليه ، فإذا هممت بأمر فامضه ، ولعمري ما أنت بسائق إلى أجل لـم

يقدر لي ، فعادت إلى أبيها فأعلمته بخطابه وما رد عليها ، قال أبوها : وما يعبد أبناء وائل لاقتلنه قتلة تسمعه بها قبائل العرب طراً ، ثم إن المجالد أمر عبيده تجمع له حطبا جزلا وأمرهم أن يضرموا فيه ناراً حتى إذا أكل بعضه بعضاً ونادى بالمهلهل فأتى به ، فقال له المهلهل : إلى صلاية هذه النار دعوتني ، قال : نعم وأبيك ، قال : وأيم الله ما جزعي من النار ولا خوفي من الموت ولكن ينالك عار ، وإني أريد منك خصالا ثلاثاً ، قال : ما هن؟ قال : أولاهن أن تطلق أسري لتكون لك عندي يد وصنيعة ، والثانية أفدي نفسي منك بكل شيء غنمته من مال بكر بن وائل وإطلاق كل أسير مع تغلب والنمر ، والتزم لك أن لا أقتل يشكريا أبداً ، وأعطيك بعد ذلك من المال ما طلبت ، فقال المجالد حسبك ، قال : ما تريد؟ قال : أحرقك بالنار ، قال : أتحرقني بالنار وتُطوّق بالعار ، دونك السيف فإنه أجمل لك ، فلما سمع المجالد كلامه أدركته عليه شفقة الرحم والرحمة ، ثم قال : يا ابن الأخت لأصبرن على هذا الأمر وعن هذه الخصال ، ولأعفون عنك ولأخلين سبيلك ولأفكنّ أسرك ولأصلن رحمك ، ولأحسنن إليك ، ثم فك وثاقه وأحسن إليه ، وخلع عليه ، وحمله على سابق من جياد خيله ، وقال : الحق بأهلك واصنع ما بدا لك ، فوأبيك لنعم الفارس والثائر أنت . قال : ثم إن المجالد ركب معه وشيعه حتى بعد عن داره ورجع عنه . قال صاحب الحديث : حدثني الأشعث بن خداش الثقفي يقول سمعت الكلبي يقول لما بلغ المهلهل مأمنه ورجع عنه خاله زوج الحلال بمهلهل وأرسل بها إليه في أولاده وعبيده وحملوها إلى المهلهل ، وكانت أحسن نساء أهل زمانها وأجملهم فمكثت عنده على الكرامة وعبيدها وولد المجالد ولم يكن رآها إلا يوم وصلته وهو في الأسر ، فساق إليها مائة ناقة برعاتها وعشرة رؤوس من

الخدم ، وخلع عليها من فاخر الحلل وعلى أخيها ولد المجالد وعلى عبيدها ، ثم قال : يا ابنة الخال أنت نعم الهدية إلى الرجل ، ولا أرغب إلى غيرك ، غير أني آليت على نفسي ألا أمس الأنثى ولا ألتذ بها ولا أشرب خمراً ولا أدهن رأساً ولا أخلع عني عدة بعد رزية أخي كليب حتى أذوق ما ذاق فامض إلى أبيك مفارقة غير مجفية ، وأنشأ يقول :

أنعمي يا حلالُ بالانطلاق = عن أسير بالأمس رهن الوثاقِ

داعيا للنجوم حتى رآها = كظباء عواطف الأعناق

قال الكلبي : وكانت بنو تغلب لما أسر المهلهل قد رحلوا عن أوطانهم مع النمر بن قاسط ، وكانوا مقيمين في جبالهم ممتنعين من عدوهم ، فلما وصل المهلهل رحبوا به ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وكانت وفادة الحلال في ديار بني بكر ، فلما جهزها بجهازها ساق إلى أبيها ألف ناقة ، وقال : يا سيدة العرب أما هذه الألف ناقة فمنّي لخالي كما فك أسري ، وله عندي صنائع سوف أكافئه عليها ؛ إن أنا ظفرت بيشكر فلسوف أكافيه ، وودعها ورجع إلى قومه الأراقم وسار في طريقه وأنشأ يقول :

لقد علمت أبناء وائل إذ نأت = بأنّي في الحرب الزبون يشبوبها

واقعص في وقت الحروب كُمَاتِها = واسعرهافي حين يحمي لهيبها

قال الكلبي : ثم إنّ المهلهل سار ولحق بقومه ، وقد أيئسوا منه ونعوه ، وأقاموا عليه النوادب ، فلما وصل سُرُّوا بقدومه وفرحوا بإطلاقه ، ونادوا في العرب بالبشارات ، وأقبل قومه يفزعون إليه ركضاً على الخيل والإبلل ، وكانوا قد ولوا أخاه مضر بن الحارث أمرهم من بعده فلم يحدث خبراً ولا قطع أثراً . قال الكلبي : وجعل يلومهم ويضلل رأيهم ويقول يا سادات العرب هل أنا إلا رجل منكم كبعضكم فإن أنا قتلت ذللتم وقتلتم وفيكم من هو مثلي وخير مني ، وأريد منكم ألا تبطلوا دم سيدكم وأميركم كليبب بن ربيعة سيد القبائل وأمير أبناء وائل الذي اشتهر ذكره في البلاد ، وأقر له بالفخر الحاضر والباد . ولامهم أيضاً في انتزاحهم عن دارهم ، فقالوا : يا أبا المجد امض بنا ما شئت فإنا لك تابعون ولأمرك سامعون ، فقال : لا أرى بكم إلا التشمير فأجابوه إلى ذلك فساروا بالخيل والظعن في بني تغلب والنمر إلى بكر بن وائل ونزلوا على ماء يقال له الأنعمين

وقعة الأنعمين

قال الكلبي : فبلغ بكر بن وائل سلامته وخلاصه فسفهوا رأي المجالد في إطلاقه ، وكانوا قد رقدوا وأمنوا في ظعنهم وحللهم ، فعاد الحال عليهم كأوله ، واجتمعت بكر بن وائل وبنو حنيفة وساروا لحرب تغلب والنمر والظعن في آثارهم ، فوجدوا بني تغلب قد سبقوهم على الماء ونزلوا عليه ، ولم يجد بنو بكر منزلاً فنزلوا على غير ماء ، ورئيسهم يومئذ الحارث بن همام ، واطردوا إطراداً عظيماً حتى كثر القتل في الحيين ، وقتل من بني تغلب رجل يقال له عمرو بن دليم بن حارثة ، وكان فارساً معلماً شجاعاً صبوراً ، وهمت بنو تغلب والنمر بالهزيمة عند قتله ، فلما رأى ذلك المهلهل ترجل عن فرسه مع أبطال بني تغلب والنمر ، وصبروا للبلاء صبراً عظيماً ، ونادى المهلهل : يا لرجال تغلب ترغبون في الفرار وفيه الدمار والعار ، فلم يجدوا من الموت مهرباً قال الكلبي : ولم يوجد لهم في حروبهم مثل ذلك اليوم هولا ، فعند لك انهزمت بنو بكر ، ولحق المهلهل خاله المجالد فمن عليه وأجاره ، ثم رجع المهلهل إلى مكانه ظافراً غانما . فلما مكثت بنو تغلب والنمر بن قاسط في حروبهم يأسرون ويقتلون ويستبيحون في حروبهم كلها ، ويكون الظفر والغلبة لبني تغلب والنمر حتى أبادوا بكراً وقُتل أشرافها وخيارها وانتهوا على ما بقي منهم . ثم إن بني بكر بن وائل غضبت لذلك كلها ، ولتعدى مهلهل عليهم ، وأخذه غير حقه واستشاروا فيما بينهم ، واتفقوا

على اللحوق بالحارث بن عباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن قيس واتفقوا على النزول عليه في نصرته ومظافرته ، وذلك أنه كان في طول حروبهم معتزلا عنهم ومنفرداً عن الحيين غضباً وإنكاراً لقتل كليب بناب من الإبل ، فلما اجتمعت بنو بكر بن وائل على اللحوق به توجهوا نحوه طمعاً في نصرته ، فساروا حتى وفدوا عليه وشكوا إليه جور مهلهل وفشوا عليه أمرهم وقالوا يا أبا بجير ما وفدنا عليك إلا أن المهلهل أباد قومه وأبادنا ، فلم يبق من الألف إلا مائة ، ومن العشرة إلا واحد ، ونحن راغبون في نصرتك ونحن رحمك وأقرب الناس إليك ، وكان الحارث بن عباد فارس عصره ، وكان من أشد فرسان العرب ، ولا أعلم ولا أحكم ولا أحزم منه ، فقال : أما هذا الأمر الذي دهيتُم به فمن بغيكم فقد ذقتم وبال أمركم حين قتلتم ملك العرب كلها وعِزّها وليثها بناب من الإبل ، فلو كنت مظافراً لكم لكنت في الحرب ، ولكن نالني ما نالكم فلما سمعت بنو بكر (مقالته علموا) أنّ ما لهم عنده نصرةً ولا فرج فقام من بينهم سعد بن مالك وكان قلب الحارث بن عبّاد مشتملا على محبته فأنشأ يقول :

أحارثُ مَن ذا بعد بكر بن وائل = ومن ذا يُرجى بعد سعد بن مالكِ

فلا حجبت من بعدنا ذات بهجة = ولا حملت أنثى لفحل مشارك

قال : فتأسف الحارث بن عباد من قوله واغضبه وأحزنه وساءه ما سمع من قومه ، ثم قال : أما بعد إني سأرسل إلى المهلهل وأنا شده الله والرحم أن يحقن دماء قومه ويكف عن حربهم فقد أصاب منهم مراده وبلغ أمنيته ، فإن هو أجاب إلى الصلح وإلا أرسلت إليه ولدي بجيراً قوداً عن أخيه كليب ، فإن قتله بأخيه وأصلح بين الحيين فغير ملام ولا مستعتب إذا أصلح بين بني وائل ، وجمع ألفتهم وأطفأ جمرتهم ، وإن عفى عن ابن أخته وعرف مودته وقرب رحمه وعاد إلى خير سبيله من صلاح عشيـــــــــــرته وجمعهم من غير قودٍ فتلك والله نعمة مشكورة مبرورة ولا تضيع فينا

قال الكلبي : وكان الحارث بن عبّاد صهر المهلهل بن ربيعة ، وكانت زوجة الحارث أم الأغر ابنة ربيعة وبجير ابن اخته هذا وإن الحارث بن عباد أمر ولده بجيرا ليأخذ في أهبة سفره وقال يا ولدي انطلق إلى خالك المهلهل وحيه عنّي بأفضل التحية وقل له : أبي أرسلني إليك قوداً بخالي كليب ، فقد هالت هذه الحروب ، وقد قتلت ما كفى ، وشفيت الفؤاد ونلت المراد فركب بجير ناقته ، فسار حتى أتى بني تغلب فحينئذ قدم بين يدي خاله ورد عليه السلام وقال : يا خالي إن أبي أرسلني إليك ويحيك بأفضل التحية ويناشك الله والرحم إلا ما كففت عما أنت عليه من قتل عشيرتك ، أبدتهم ودمرتهم ، وقد زدت على الإدراك ، فإن مننت وكففت وإلا فها أنا قود بأخيك كليب وقال يا خال اقتلني بدله ، فإن قتلت فغير مستعتب ولا ملوم ، وإن عفوت كان لك اليد العليا إلى آخر أبد الدنيا فلما سمع المهلهل قول ابن اخته أسود لونه وتغير وجهه ، وقال : يا ابن الخنا أجعلك أبوك عوضاً عن كليب ، خاب سعيه لا والله ولا بشسع نعل

كليب وجعل يَذُمّه ، فقال له امرؤ القيس بن أبان وكان من أبطال العرب المذكورين وفرسانها المشهورين لا تحدث الجور وتسن الظلم ، فقد اعتزل أبوه حربكم هذه المدة كلها ولا شد فيها عُزوقه وفارق قومه بظلمهم وهو فارس العرب كلها .

وقال قوم آخرون في قتل بجير : إنَّه خرج في طلب إبل لأبيه من الرعاء فلقيه قوم من تغلب وأتوا به المهلهل فقال من أنت؟ قال بجير بن الحارث بن عباد قال : قام أم الأغَر ابنة ربيعة ، قال ومن خالك؟ قال المهلهل (سيد العرب) ، قال أنا خالك أمك؟ ومن وقاتلك قال ففيم تقتلني وأبي قد اعتزل في قومه حرب بني بكر (ولم يعن عليك عدوك وأحزنه مصابك وخذل قومه وعشيرته لأجلك) قال : وأنصاب وائل لأقتلنك ولو كانت نفوس العرب كلها بنفسك ، وكان امرئ القيس بن أبان حاضراً فقال يا مهلهل تالله إن قتلته ليقتلن أبوه كبشاً من قومك وليجمعن عليك حرب بكر بن وائل كلها ، هذا وإن امرء القيس هو أول مقتول ببجير بن الحارث يوم التحاليق .

قال الكلبي : ثم إن المهلهل عند قتل بجير أخذ برأسه وجعله في جنب ناقته وسرّحها وعادت إلى أهلها (تقلب أثرها وترفع أخفافها) وأنشأ يقول :

شفيتُ النَّفس من أولاد بكر = وحلت بركها ببني عَبادِ

وتيم اللاتِ قد وطيتُ وعجلاً = تنقل من سنابكها الشّدادِ

قال الكلبي : ثم سارت الناقة ترفع أخفافها فنظر إليها الحارث بن عبّاد وهي تحثُ سيرها وليس عليها راكب ، فقال أبوه الفداء القتيل ألف بين قومه وجمع إلفتهم وعلى أن خاله أوفى في قتله ، وقال آخرون إن الناقة جاءت بالليل فقال لنسائه أقدم بجير؟ قلن لا نرى إلا الراحلة فقال : انظرن ما عليها فقلن ما عليها شيء إلا شيء كبيضة النعام فقال : ويلكن هل يحملن النوق بيض النعام على القلوص ثم قال لهنَّ ويلكن أوقدن ناراً فاتوني بهذه البيضة ، فلما أوقدن النار وجدن رأس بجير ، فإذا هن يصرخن صراخاً عظيماً ، فقال أمسكن أنفسكن ، ولم يَرعه قتله ولم يحزنه ذلك طمعاً في صلاح العشيرة ، واقبلن الخدام يندبن ويصرخن فزجرهن ومنعهن النواح ، وقال لهن امسكن قد حقنت دماء الحيين وألفت بين الفريقين ثم التفت إلى من حضر وقال : إن بني تغلب قتلوا سيداً سنداً بغير ظلم ولا بغي ولا اعتداء وكان الحارث بن عباد أعرفُ أهل زمانه وأشجعهم قلباً وأشدهم بأساً وأكثرهم حلماً ، قال : وكان المهلهل قد كتب على وجه بجير ابن اخته بدمه إني لم أقتل بجيراً إلا بشسع نعل كليب ، فاعلموه بذلك ، وقالوا : أيقتل مهلهل بجيراً بأخيه ولا يرضى ، فسمع قولهم .

ثم أرسل إلى المهلهل يقول : إن كنت قتلت بجيرا ابن اختك في أخيك كليب فقد أرضاني ذلك وغير ملام وسرّني في الحقن لدماء الفريقين واجتماع الشتات ، فوصل الجواب من المهلهل إلى الحارث : بحياتك يا أبا بجير إني لم أقتل ولدك إلا بشسع نعل كليب ، فعند ذلك انتحب انتحابا شديداً عالياً ، وصاح بعبيده ونسائه يندبن بجـــيراً

ويبكينه ، فخرجن نساء الحي شاقات الجيوب وجززن عليه الشعور و خمشن الوجوه ، فلما نظر إلى نساء الحي يندبن بجيراً أقبل يرثي ولده ويقول :

أَبَى دَمعُـك الـيـوم إلا إنسجاماً = وقلبك للظعن إلا اهتماماً

وشـــاقـك بـيـنــونـة الـراحـلـيــن = بعيداً يزددها الـقـلـب هـامـا

قال صاحب الحديث : ثم إنَّ الحارث بن عباد انتحب انتحاباً عالياً ونهض إلى خيله فجر نواصيها ، وكان أول من بدأ بجز نواصي الخيل من العرب ، وقربت إليه خيله ، فكان كلما قرّب إليه من خيله حصانا أو فرساً ليركبه يكسر أضلاعه لشدة غضبه فيحزها عقيراً حتى عقر تحته عشرة أفراس إلى أن قربت إليه حجرته المعروفة بالنعامة ، وكانت عزيزة عنده يعدها لكل شدة ولم يكن لها في خيل العرب نظير ، فقربت إليه ، وكان قد أتى عليها من العمر مائة سنة ، وقد سقط حاجباه على عينيه ، وكان يشدهما بعصابة ، فاستوى على ظهرها فشبت وصهلت و حمحمت وجالت في ميدانه ، ويقال إنه يومئذ ما وجد فرساً مثلها في خيله جميعا وذلك إنه كان إذا قرب إليه فرس وجعل عليه السّرج وجبد عليه الحزام وشد عليه رفع إرابه من على الأرض لشدة غضبه وإذا ركبه أهلكه حتى أتى بالنعامة ، وجعل عليها السرج ، فكان كلما جبذ عليها الحزام مكنت حوافرها في الأرض حتى تغيب حوافرها ، فحينئذ عرف أنها تبلغه المراد ولا تمل

من الجهاد ، وكان الحارث من الفرسان المشهورين في الطعان ، وكان إذا اصطفت الفرسان للحرب يختص أي فارس شاء فيأسره ويأتي به إلى عسكره أسيراً ، ثم إنه جعل ينشد هذه القصيدة المشهورة في العرب ويذكر مصابه في بجير ، ويصف فرسه النعامة في الميدان فرأي نفسه عليها ممهداً فأعجبته ، ونزل عليها وجز ناصيتها على حد ذنبها فسارت إخوته وجماعته وأهل بيته إلى خيولهم فجزوا نواصي خيلهم وأذنابها فسار الحارث بن عبّاد بجماعته ورجاله ، وكل من اعتزل الحرب تعصبوا ورحلوا لأجله وفرحوا به ، واجتمعت بنو بكر في خلائق عظيمة ، وعادت الحرب بينهم جذعة بعد أن كانوا هموا بالصلح فشمر الحارث بن عباد للحرب وأنشأ يقول :

كُلُّ شيء مـصـيـره لـلـزّوالِ = غير ربي وصالح الأعمال

ونشور من بعد ذا وحساب = طال بي موقفي وسوء فعالي

قال فأجابه المهلهل يقول :

لمن الدار أقفرت بسجال = بين ريح الصبا بين ريح الشَّمالِ

يستبينُ الحليم منها رُسُـومـاً = دارسات كضيعة العمال

قال صاحب الحديث : ثم اجتمعت بنو بكر في خلائق عظيمة واستقوت شوكتهم ، فأرسلوا إلى بني حنيفة يستنجدونهم ، وكانوا نازحين عنهم باليمامة ، فامدوهم بالفند واسمه سهل بن شيبان في خيل قليله نحو سبعين فارساً ، وكتبوا إلى بني بكر يقولون : قد أمددناكم بألف فارس وسبعمائة فارس ، قالت بنو بكر للفند أين أصحابك؟ قال : ما معي ما غير ما ترون قالوا : أين الألف والسبعمائة؟ قال : أنا بألف وأصحابي بسبعمائة فارس ، فأصحابي يقومون مقام سبعمائة فارس ، وأنا أقوم بمقام ألف فارس من بني تغلب ، وكان معمراً قد عمر أربعمائة سنة وقيل خمسمائة سنة ، وكان فارساً بطلاً عظيما ، قال : فحشدت بنو بكرٍ ومن يليها من قبائل العرب ، وكان رئيس بكر يومئذ الحارث بن همام ، فاجتمعوا إلى الحارث بن عباد ، وقلدوه أمرهم ، فقال الحارث بن عباد للحارث بن همام : هل أنت مطيعي على ما أريد ، فقال : الطاعة الله ولك ، قال : أخرجوا نساءكم وصفوهن من خلفكم صفوفاً فإن ذلك مما يزيد جرأة في الحرب . واجتهاداً في حب الموت واعملوا معمر لكم علامة تعرفون بها وتعرفها النساء ، فإذا مرت امرأة منهن على قتيل عرفته بالعلامة ، فإن كان قتيلاً عرفته ، وإن كان جريحاً سقته الماء وداوته وغسلت وجهه ، وإذا أمرت على أحد من عدوكم ضربته بالخشب حتى يموت .

قال له الحارث بن همام فما تكون العلامة يا أبا بجير قال : احلقوا رؤوسكم ، فحلقت بنو بكر رؤوسها ، فسميت تلك الوقعة وقعة التحاليق فلم يبق منهم إلا من حلق رأسه إلا جحدراً واسمه ربيعة بن عمرو بن قيس بن ثعلبه ، وإنما سُمي جحدر لقصره ، وكان حسن الرأي ، وكان فارساً عظيماً ، فقال يا بني عمي دعوا لي لمتي ، فأنا لأول فارس يطلع من التثنية آتيكم به أسيراً ، فإني أخاف إن حلقتم رأس أزداد دمامة ، فتركوها له على ذلك ، واستسلمت بنو بكر للموت ، وزحفوا إلى بني تغلب في جموع كثيرة بالنساء والأهل والولد ، ولم يتخلف أحد في ذلك اليوم إلا جساس

قال الكلبي : إن جساساً هرب يوم التحاليق بنفسه خايفاً من القتل وحذراً من الطلب ، لا تسعه البلاد حتى أتى اليمامة والبحرين فنزل على اخواله عبد القيس ، فأقام فيهم مدة طويلة والقبيلتان على ما هم عليه من الحروب تأتيه أخبار القوم بعد وقت بما يسره وبما يحزنه ثم رجع

وقال صاحب الحديث : وبلغ مهلهلاً اجتماع بكر بن وائل والحارث بن عباد ، فحشد واستنجد من يليه من قبائل ربيعة وكان مطاعاً مهابا تجلله الملوك وتعظم قدره لشرفه ولبيته ولما تقدمت له ، فأتته جميع العرب فخرج إلى بني بكر ، فجالت بنو بكر جوله وهمت بالهزيمة ، ثم إن عامر بن مالك بن تيم اللات ضرب عرقوب الجمل الذي عليه أمه ، فقال أبو البزلِ أقرب حيث أدرك ، فضرب بسيفه في بني تغلب يميناً وشمالاً ثم قال لبني بكر والله لا يمر بي فارس منهزم إلا ضربته بسيفي ، وقال يا آل بكر كل يـــوم

فرار وعار وكان ذلك اليوم أيضا يسمى خزازي ، فثبتت بنو بكر ورامت القتال ، قال صاحب الحديث وإن جحداراً القصير وقف عند قوله فأول فارس طلع من بني تغلب التثنية ابتدره فأخذه أسيراً كما شرط على نفسه فسلمت له لمته ، قال : فلما رأي مهلهل صعوبة القتال وصبر بني بكر على الحرب بذل نفسه وقاتل قتالاً شديداً ، وحمل عدي على الخيل وكان إذا حمل تمر الخيل بين يديه كالنعام الشوارد ، وكان لا يحمل على ناحية إلا كشفها فلما رأي الحارث بن عباد عدياً وما يصنع بالخيل حمل عليه فاعتنقه فأخذه أسيراً وهو لا يعرفه ، فقال دلني على عدي بن ربيعة ولك دمك فقال له : عدي عليك عهد الله وميثاقه إن رأيت عدياً تخل سبيلي ؟ فقال له الحارث لك عهد الله وميثاقه إن أريتني عدياً لأخلين سبيلك ، فقال عدي يجيرني هذا الرجل يعني عوف بن ملحم الشيباني فقال له أجره بالرحم فقد أخذ علي عهدي فقال له عوف بن ملحم الشيباني يقول :

فقال لقد أسمعت لو ناديت حيا = ولكن لا حياة لمن تنادي

ثم قال بعدي فتعلق عدي بحقوى عوف ، وكان بينه وبين عدي خُلّه ومصادقه ، فلما استمسك يداه من عوف قال للحارث بن عباد أنا عدي بن ربيعة ، فقال له الحارث :

فمن يعرفك؟ قال : من تعلقت بحقوبة قال الحارث أتعرفه؟ قال : نعم ، قال الحارث غدرت يا ابن أخي ، قال خدعتك والحرب خدع

قال : دلني على نظائرك وأشراف تغلب أقتلهم بولدي بجير ، فأشار له إلى امرئ القيس بن أبان ، وقال : أما ترى الفارس المعلم المعتجر بالعمامة الحمراء ، ذلك سيد بني تغلب جميعها فبادر الحارث بأصحابه ، وقال : إني أريد أن أحمل على ذلك الفارس فشدوا ظهري لا تكرّ عليّ خيل بني تغلب ، ففعلوا ذلك ، فحمل على امرئ القيس بن أبان فاعتنقه وصار كأنه عصفور في يديه ، وحملت خيل الحارث على خيل امرئ القيس بن أبان فكشفتها ، وأخذ الحارث بن عباد امرء القيس أسيراً إلى قومه فقتله ، فقال : إن رمح الحيين طويل ، فأرسلها مثلاً . وامرؤ القيس هذا هو القائل لمهلهل : « لئن قتلت بجيراً ليقتلن أبوه فيه كبشاً من خيار قومك » ، فكان هو المقتول ، وأنشأ الحارث بن عباد يقول :

لهف نفسي على عدي ولم = أعرف عَدِيًّا وقد حوته اليدان

فارس يضرب الكتيبة بالسيف = وتسمو أمامه الفتيان

قال : وإن جحدراً لما سلمت له لمتُه أنشأ يقول :

ردوا عليَّ الخيل إن ألمت = إن لم أُطاعِنها فجزوا لمِتي

إذا الكماة بالكماة التقت = قد علمت والدتي ما ضمت

وقاتل جحدر في ذلك اليوم قتالاً عظيما ثم شد مهلهل وفرسان بني تغلب وأبطالها على بني بكر فكشفوهم فكر حينئذ الحارث بن عباد والحارث بن همام وسعد بن مالك على خيل بني تغلب فصُرع جحدر القصير جريحاً بين قتلى بني تغلب في تلك الحملة ، فمررن به النساء فوجدن عليه لمته لم تحلق فقال : يا نساء عشيرتي وبني عمي انا جحدر القصير ، وقد شريت لمتي من قومي بأول فارس يطلع من الثنية ، وقد وفيت بذلك ، فلم يصدقنه وضربنه بالعمد حتى مات ، وحمل رجل من بني تغلب يقال له مالك ووراءه رديف ، على ابن عامر البكري فولى هارباً ، فأدرك التغلبي امرأة من بني بكر يقال لها قسمة الله ابنة الطماح بن عامر وفي يدها طفل صغير ، فطعن الطفل فرفعه على سن الرمح ، وهو يقول ويل أم الفرخ ، فحمل عليه العبد فطعنته طعنة أنفذته وأنفذت الرديف الذي وراءه فخرا ميتين بطعنة واحدة ، ودام القتال إلى آخر النهار ، فانهزمت بنو تغلب وولت على وجوهها ولحقوا الظعن في بقية يومهم وليلتهم فتبعتهم فرسان بني بكر فقتلت منهم مقتلة عظيمة ، ثم جمعت بنو تغلب جموعاً كثيرة ورجعت إلى بني بكر فخرجت عليهم بنو بكر وعليهم الحارثان ابن عباد

وابن همام فالتقوا بالعنيزة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز بينهم الليل ، وانصرفوا كل قوم إلى بلدهم ولم تظفر فئة منهم بالأخرى ، فأنشأ المهلهل يقول :

يا بنتَ آلِ زهيـر اذكـــري حسبي = وابكي زُهَيـراً فما خانوا ولا عندوا

قومي الليوث ليوث الحرب قد علموا = إذا تضعضدع أقوام لهم صعدوا

فأجابه الحارث بن عباد يقول :

بانت سعاد وما أوفتك ما تَعِدُ ، وأخلفتك وشر النائل النكد

أحلى من الشَّهِدِ مَوعُوداً وليس لها ، نيل سوى ذاك إلا البخل والبعد

وقالت أيضا أم الأغر بنت ربيعة ترثى ابنها بجيراً حيث قتله خاله ظلما :

يُؤرقني التذكرُ حين أُمسي = وَيَردَعُـنـي عـن الأحزانِ نكسي

يذكرني طلوع الشمس بجراً = وأذكره بكل غروب شمس

ثم أن مهلهلا قال لقومه : قد رأيتُ أن تُبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ، فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها ، فكيف وقد فني الحيان ، وثكلت الأمهات ويتم الأولاد ، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا ترقأ . وأجساد لا تدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ! وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى تتواسوا في قتال القتل فكان كما قال . ثم : قال مهلهل : أما أنا فما تَطيب نفسي أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب وأخاف أن أحملكم على الاستئصال ، وأنا سائر إلى اليمن . وفارقهم وسار إلى اليمن ، ونزل في جنب وهي حي من مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم فأجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلوداً من أدم فقال في ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت = أخت بني الأكرمين من جشم

انكحها فقدها الأراقم في = جنب وكان الحباء من أدم

ثم إن مهلهلا عاد إلى ديار قومه ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري أسيراً بنواحي هجر فأحسن إساره ، فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلهل فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكراً ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر ينوح به على أخيه كليب فسمع منه عمر و ذلك ، فقال : إنه لريان والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب ـ وهو فحل كان له لا يرد إلا خمساً في حمارة القيظ – ، فطلب بنو مالك زبيباً وهم حراص على أن لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشاً

وقيل : إن ابنة خال مهلهل وهي ابنة المجلل التغلبي كانت امرأة عمرو وأرادت أن تأتي مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها :

طفلة ما ابنة المجلل بيضا = لعوب لذيذة في العناق

فاذهبي مـا إليك غير بعيـد = لا يؤاتي العناق من في الوثاق

وهي أبيات ذوات عدد ، فنقل شعره إلى عمرو بن مالك فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب فسأله الناس أن يورد زبيباً قبل وروده ، ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه ، ثم إنه سقى مهلهلاً من ماء هناك هو أوخم المياه فمات مهلهل .

مقتل مضرط الحجارة

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة ، وكان يلقب مضرط الحجارة و لشدة ملكه وقوة سياسته وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عمة امرىء القيس بن حجر بن الحارث ، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي؟

قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو

فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه ، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره أن تزور أمه ليلى أم نفسه هند بنت الحارث ، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ، ومعه أمه ليلى فنزل على شاطىء الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ، ولأمه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقد قال مضرط الحجارة لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فنحي خدمك عنك فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت هند ما أمرها به ابنها فلما استدعى الطرف . فقالت هند لـ

ليلى : ناوليني ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فالحت عليها فقالت ليلى : واذلاه يا آل تغلب .

فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمر و بن هند الشرّ في وجهه ، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى : يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند = وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق .

فقام ابن كلثوم إلى السيف = مصلتا وأمسك من ندمانه بالمخنق

يوم لبني شيبان على تميم

قال أبو عبيدة : أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهو بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر ، فوافق النعم حين سرح فأخذه كله ، ثم كر راجعاً وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحارث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ، ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله ، وأتاهم أيضاً بجير بن أبي مليل فقتله بسطام ، وقتلوا من يربوع جمعاً وأسروا ،آخرين منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين ، فقال بعض الأسرى البسطام : أيسرك أن أبا مليل مكاني؟ قال نعم . قال : فإن دللتك عليه أتطلقني الآن؟ قال : نعم . قال : فإنّ ابنه بجيراً كان أحب خلق الله إليه وستجده الآن مكباً عليه يقبله فخذه أسيراً . فعاد بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيراً وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل : قتلت بجيراً وأسرتني وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبداً وأنا موثق فخشي بسطام أن يموت فأطلقه بغير فداء على أن يفادي مليلاً وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبداً وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع إلى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فأرسل بعض بني يربوع إلى بسطام بخبره فحذره وقال متمم بن نويرة :

أبلغ شهاب بني بكـر وسـيـدهـا عني = بذاك أبا الصهباء بسطاماً

أروي الأسنة من قومي فانهلهـا = فاصبحوا في بقيع الأرض نواما

لا يطبقون إذا هب النيام ولا = في مرقد يحلمون الدهر أحلامـاً

أشجى تميم بن مر لا مكايدة = حتى استعادوا له اسرى وأنعاما

هلا أسير افدتك النفس تطعمه = مما أراد وقدماً كنت مطعـامـا

أسر حاتم طيء

قال أبو عبيدة : أغار حاتم طيء بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طيء وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة ، فكان في الأسرى حاتم بن عبدالله الطائي ، فبقي موثقاً عند رجل من عنزة بن اسد فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له : اقصد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت فقال حاتم :

عالي لا تلتــد مــن عــاليـه = إن الذي اهلكت مـن مــاليـه

إن ابن أسمــاء لـكـم ضــامـن = حتى يؤدي أنس ناويه

لا أقصد الناقة في أنفها = لكنني أوجــرهــا الـعـالـيـة

إني عن الفصد لفي مفخر = يكره مني المقصد الآليه

وقال رميض العنزي يفتخر :

نحن أسرنا حاتماً وابن ظالم = فكل ثوى في قيدنا وهو يخشع

وكعب إياد قد أسرنا وبعده = أسرنا أبا حسان والخيل تطمع

وريان غادرنا بوج كأنه = وأشيـــاعـه فيـهـا صـريم مصرع

يوم مسحلان

قال أبو عبيدة : غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقي جيشاً لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت بهم بنو شى‌بان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وذلك يوم مسحلان ، وأسروا ناساً كثيراً وأخذوا ما كان معهم كان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد الله بن قيس المحلمي . وقيل : كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني أبي ربيعة فقال شاعرهم :

ربيعة سائل حيث حل بجيشه = مع الحي كلب حيث نبت فوارسه

عشية ولى جمعهم فتتــابعــوا = فصار إلينا نهبــه وعــوانسه

ثم إن الربيع بن زياد الكلبي نافر قومه وحاربهم فهزموه فاعتزلهم وسار حتى حل ببني شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة ، فقتلهم بنو أسعد بن همام ، ثم إن شيبان حملوا ديته إلى كلب مائتي بعير فرضوا .

حرب السليم وشيبان

قال أبو عبيدة : خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي ، وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو مُحرِم على فرس البحراء ، فقال لهم : أين تذهبون؟ قالوا : نريد الغارة على بني شيبان ، فقال لهم : مهلا فإني لكم ناصح إياكم وبني شيبان فإني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلاثمائة فرس خصي سوى الفحول والإناث . فأبوا إلا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضاً حتى أتى قومه ؛ فأنذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالاً شديداً . فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج إلا القليل ، وأسر النصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع :

نهيت بني زعل غداة لقيتهم = وجيش نصيب والظنون تطاع

وقلت لهم : إن الحريب وراكسا = به نعم تـرعـى المـرار رتاع

ولكن فيه الموت يرتع سربه = وحق لهم أن يقبلوا ويطاعوا

متى تأته تلقى على الماء حارثاً = وجيشاً لـه يـوفـي بكـل بـقـاع

مقتل قبائل اليمن وحضرموت

فلما استخلف أبو جعفر المنصور استعمل على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فأقام مدة وسار نحو المنصور ، واستخلف ابنه ، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة الشيباني في شهر ربيع الأول سنة أربعين ومائة ، وقيل سنة اثنتين وأربعين وبعث معن ابن عم له يقال له سليمان إلى المعافر فقتلوه ، فغزاهم فقتل منهم وأكثر ، ثم انتقضت حضرموت على معن فسار إليهم ، وأوقع بهم عدة وقعات قيل بلغت قتلاهم خمسة عشر ألفا ، فأعظم الناس ذلك .

مقتل كندي واليمن

قال أبو رياش : هذه قالها في غارة الحُطم وهو شُرَيج بن شرحبيل بن عمرو بن مزيد ، أغار على اليمن فقتل وليعة بن معد يكرب أخا قيس وسبى بنت قيس بن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس فبعث الأشعث يعرض في فدائها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل فلم يفعل الحُطَمُ وماتت عنده عطشا .

مقتل عبد السلام الخارجي

في هذا السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري بقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فأشتدت شوكة وكثرت اتباعه فلقيه عدة من قواد المهدى فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معة وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذي .

حماية الخليفة مروان بن الحكم

أوى مَرْوَان بن الحكم إِلَى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة ، فَقَالَ لَهُمْ : أعلموا مالك بن مسمع بمكاني ، فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه ، فَقَالَ لأخيه مقاتل : كيف نصنع بهذا الرجل الَّذِي قَدْ بعث إلينا يعلمنا بمكانه؟ قَالَ : ابعث ابن أخي فأجره ، والتمسوا لَهُ الأمان من علي ، فإن آمنه فذاك الَّذِي نحب وإن لم يؤمنه خرجنا بِهِ وبأسيافنا ، فإن عرض لَهُ جالدنا دونه بأسيافنا ، فإما إن نسلم ، وإما أن نهلك كراما وَقَدِ استشار غيره من أهله من قبل فِي الَّذِي استشار فِيهِ مقاتلا ، فنهاه ، فأخذ برأي أخيه ، وترك رأيهم ، فأرسل إِلَيْهِ فأنزله داره ، وعزم عَلَى منعه إن اضطر إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ : الموت دون الجوار وفاء ، وحفظ لَهُمْ بنو مَرْوَان ذَلِكَ بعد ، وانتفعوا بِهِ عندهم ، وشرفوهم بِذَلِكَ .

مقتل الازد وملوكها الغساسنة

أغارت بكر بن وائل على بعض بوَادِي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذوه .

يوم المعا

قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الأسدي على بني عباد بن ضبيعة ، فأخذ نعما لبني الحرب بن عباد ، وهي ألف بعير ؛ فمر ببني سعد بن مالك بن ضبيعة ، وبني عجل بن فتبعوه حتى انتزعوها منه ، ورئيس بني سعد حمران بن عبد عمرو ، فأسر أفتل ابن حسان العجلي المنبطح الأسدي ، فقداه قومه ، ولا أدريكم كان فداؤه ، واستنقذوا السبي .

أسر سيد قضاعة

ذكر صاحب قطب السرور أنه أسره همام بن مر قطب اسره همام بن مره سيد وائل فعرض عليه في فدائه مائة من الابل ، فأبى أن يقبلها وقال : أحسن من ذالك عندي أن أطلقك على ألا تشرب شراباً أبدأ إلا بدأت بذكري وحياتي وشربت قبل نفسك فأطلقه .

يوم الروضة

يوم الروضة : ذكره ابن الاعرابي : فقال أغار كلب على بني ذهل يوم الرَّوْضة ، فظفرت بهم بنو ذهل بعدما كانوا طردو النعم وذهل هو ابن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر .

يوم ذي قار

سأله كسرى عن النعمان فأحسن الثناء عليه وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه ، وكان يكثر الدخول على كسرى . وكان لملوك الأعاجم صفةٌ للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في طَلَبِ مَنْ يكون على هذه الصفة من النساء ، ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدي : إني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين أمرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن قال : أيها الملك إن شَرَّشيءٍ في العرب وفي النعمان أنهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم فأنا أكره أن يتعنتهن وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وابعث معي رجلا يفقه العربية . فبعث معه رجلا جلداً فخرجا حتى بلغا الحيرة ، ودخلا على النعمان ، قال له زيد : إنّ الملك أحتاج إلى نساء لأهله وولده وأراد كرامتك فبعث إليك . قال : وما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئنا بها ، وكانت الصفة أن المنذر أهدى أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكتب :يصفها أنها معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء ، وطفاء قمراء ، دعجاء ، حوراء ، عيناء قنواء ،شماء ، شمراء ،زجاء برجاء ، أسيلة الخد ، شهية القد ، جثيلة الشعر بعيدة مهوى القرط ، عيطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاشة المنكب ، والعضد حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طي البطن ، خميصة الخصر غرثى

الوشاح ، رداح القَبَل ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ضخمة المنكبين عظيمة الركبة مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي مكسال الضحي ، بضة المتجرد ، سموع للسيد ، ليست بخلساء ولا سفعاء ذليلة الأنف ، عزيزة النفر ، لم تغذ في بؤس ، حنينة ، رزينة زكية كريمة الخال تفتخر بنسب أبيها دون فصيلتها ، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين ؛ قطيعة اللسان زهرة الصوت تزين البيت وتشين العدو ، أن أردتها اشتهت وإن تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر وجنتاها وتدبدب شفتاها وتبادرك الوثب . فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة فبقيت إلى أيام كسرى بن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشقّ ذلك عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم .» فقال الرسول لزيد ما العين قال : البقر وأنزلهما يومين وكتب إلى كسرى إنّ الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد : أعذرني عنده فلما عاد إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنتَ أخبرتني ؟ قال : قد قلت للملك وعَرَّفْتُه يُخْلُهُم بنسائهم على غيرهم ، وإنّ ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم ، وسل هذا الرسول عن الذي قال : فإني أكرِمُ الملك عن ذلك . فسأل الرسول فقال : إنه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال رُبَّ عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فصار أمره إلى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً والنعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه فحين وَصَلَ الكتاب أخذ سلاحه وما قـــوي

عليه ، ثم لحق بجبلي طيء – وكان متزوجاً إليهم – وطلب منهم أن يمنعوه فأبوا عليه خوفاً مِنْ كسرى فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سرا فلقي هانيء بن مسعود بن عمرو الشيباني – وكان سيداً منيعاً ـ والبيت من ربيعة في آل ذي الجدين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى قد أطعمه الأبلة فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه اهله فأودعه أهله وماله وفيه أربعمائة درع – وقيل ثمانمائة درع – وتوجه النعمان إلى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال أنج نعيم . فقال أنت يا زيد فعلت هذا ! أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلتُ بأبيك فقال زيد امض نُعيم فقد والله وضعتُ لك أخية لا يقطعها المهر الأرن فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى خانقين حتى وقع الطاعون ، فمات فيه قال والناس يظنون أنه مات بساباط ببيت الأعشى وهو يقول :

فداك وما ينجى من الموت ربه = بساباط حتى مات وهو محرزق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وكان كسرى اجتاز به لما سار إلى ملك الروم ، فأهدى له هدية فشكر ذلك له وأرسل إليه فبعث كسرى بأن ما خَلَّفه النعمان ويرسله إليه ، فبعـــــث

إياس إلى هانىء بن مسعود الشيباني يأمره بإرسال ما أستودعه النعمان ، فأبى هانىء أن يسلم ما عنده ، فلما أبى هانىء غَضِبَ كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت .

فصبر كسرى حتى جاؤوا نحو ذي قار ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدةً من ثلاث : إما أن يعطوا بأيديهم ، وإما أن يتركوا ديارهم ، وإما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي ، فأشار بالحرب ، فآذنوا الملك بالحرب فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب تغلب ،وأياد وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وكان على طف سفوان فأرسل الفيول - وكان قد بُعِثَ النبي ﷺ فقسم هاني بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفُرْس من بني شيبان قال هانىء بن مسعود يا معشر بكر لا طاقة لكم في قتال كسرى فاَركنوا إلى الفلاة فسارع الناس إلى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال : يا هاني أردت نجاتنا فألقيتنا في الهَلَكة وردّ الناس وقطع وضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمي (مقطع الوضن) ، وضرب على نفسه قبة ، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة ، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلهم بالجنود فانهزمت العجم خوفاً من العطش إلى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت يومئذ بلاء حسناً اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هَلَكَتْ عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلاً تقاتل وامرأة منهم تقول :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل = إيها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم إلى بطحاء ذي قار خوفاً من العطش

فأرسلت إياد إلى بكر – وكانوا مع الفرس – وقالوا لهم : إن شئتم هربنا الليلة ، وإن شئتم أقمنا ونفرّ حين تُلاقون الناس فقال بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا . وقال زيد بن حسان السكوني وكان حليفاً لبني شيبان أطيعوني وأكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرَّضَ بعضُهم بعضاً وقالت ابنة القرين الشيبانية :

إيها بني شيبان صفاً بعد صف = أن تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم ، وبارزا لها مرز فبرز إليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد ، ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم إياس بن قبيصة الطائي وولت إياد منهم منهزمة كما وعدتهم فأنهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب وغنيمة وقال الشعراء في وقعة ذي قار فأكثروا .

خبر بين بكر وتغلب وبين التبع والنمر

ما أسرت ربيعة النمر بن عثمان أرسل التَّبع إليهم رسولا وكتب إليهم يتهددهم ويوعدهم فلما بلغت الرسالة إلى كليب وسمع كلام التبع وتهدده قال كليب لقومه :

التبع يتهددنا ، ويقول نطلق النمر بغير فداء خيفة منه ، وهذا ما لا يكون أبداً ، لقد ضرب في حديد بارد ، فأرسلها مثلاً ثم قال علي بالنمر بن عثمان فلما بصره أمر بضرب عنقه وقال للرسل قد رأيتم الرسالة إلى من التبع وأديتم الأمانة فاحفظوا عني ما أقول وأنشأ يقول .

غضب التبع اليماني جهلاً = إذا ثوى النمر عندنا في وثاقِ

برهة ثم صار من بعد قتيلاً = ليس حي على المنون بباق

قال ابن نافع : فلما بلغت الرسل إلى التبع واعلموه بقتل النمر بن عثمان وسمع شعر كليب أغضبه ذلك ، ثم دعى بكبش له قرنان طويلان فعلق في عنقه سكينا وبعث قائداً يقوده وآخر يسوقه وقال لهما امضيا بالكبش وقوداه في ديار ربيعة بن نزار وناديا عليه هذا كبس الملك تبع بن شراحيل فمن ذا الذي يجسر على ذبحه ليناله ذلاً وهوانا

يريد بذلك استذلال نزار واختبار ما عندهم ، فأقبل قائد الكبش وسائقه يخترقان بلاد ربيعة ومضر وأرضها ، وينشدان ما أمرهما به التبع ويقولان هذا كبش التبع فمن القادر على ذبحه حتى طافا بالكبش على قبائل ولد نزار بن معد بن عدنان حتى صار الكبش في ديار بكر بن وائل ، فسمع كليب قائده يقول فوثب إلى الكبش فضرب به الأرض وذبحه ورمى به بين يدي سائقه وقائده وقال هوانا لكما ولمن أرسلكما ، ثم عمد إلى الكبش فصلبه وصلب قائده وسائقه وشنع بهما فشاع الخبر بذلك فسمع التبع اليماني بقتلهما وصلبهما وفشى ذلك في اليمن وأنشأ كليب يقول :

ولما اختلفنا جثته فصرعته = وقلت له أنت الذليل فما فهم

وأتلفت معه قائداه ولم يكن = يُنادي أصماً عن نداه ولا صمم

قال ذؤيب بن نافع : وإن كليباً زاد في شعره حت هجا التبع وأهل اليمن وحمير كافة ، فلما بلغ شعر كليب إلى التبع جمع أهل رأيه وعشيرته

ثم قال : يا قوم إنَّ ربيعة قد ارتكبت منا ما لا يرتكبه أحد من العرب فوالله لا بد من قتل أبطالهم وأخذ أموالهم واستباحة حريمهم ، فقالوا له أيها الملك انفذ إليهم واسألهم تسليم الرجل الذي اجترأ عليك ، فلعله فعله بغير رضاهم ، فأنفذ إليهم التبع قائداً من

أجلاء قواده وأعظم قومه وضم إليه رجلا من أكابر قومه وأنفذ معهما عشرين ألف فارس وقالوا إن تضرعوا إليكم تضرع العبد فابقوا عليهم وإن ظهر لكم أنهم راضون بما اتفق فاقتلوا الرجال واستبوا الحريم وسوقوا الأموال وائتوا بكليب أسيراً فلأحلن به الهون ، ولأجعلنهم أحدوثة للعرب ، فلما وصل الجيش الذي أنفذه التبع إلى بلاد نزار نزلوا على مكان يقال له الظهروان .

وقعة الظهروان

قيل : وإنَّ القائد أنفذ إلى كليب يسأله عن ذابح الكبش الذي أنفذ به الملك ليسلم إليهم فقال كليب حباً ولا كرامة لكم ولا لتبعكم وناوشهم الحرب فظفرت بهم ربيعة وقتلتهم قتلاً شنيعاً ونجا القائد بنفسه حتى لحق بالصهبان ، فلما دخل عليه سجد بين يديه وقال له دام ملكك وارتفعت درجتك إنهم نقضوا عهدك وقتلوا أتباعك فأنزل بهم الويل والدمار واستعبد منهم الأحرار وانتزع منهم الأعمار واكشف عن ملكك العار ثم بكي وانتحب بين يديه وتضرع إليه وحدثه بما جرى ونزل بهم من الذل والهوان ، وأعلمه بما جرى من بطشهم ورأي من جرأتهم وشجاعتهم وإقدامهم وأنه لا طاقة له بهم إلا بجنود عظيمة فلما سمع التُّبع كلامه وفهم مرامه نادى القبة وهو من ملوك غسان يقر له بالفضل الشجعان ، وتشهد له بالشجاعة الأقران ، وكان القبه بن عنق الحية سيف نقمته فجمع له جيشاً كالجراد المنتشر وبعث معه لبيداً بمثل ذلك وعمرو بن نائل وأمرهما يستمعان كلامه وسار ابن عنق الحية بمن كان معه وكان مُضر وإياد ناحية من ربيعة بجنود عظيمة ، فلما سمع وكان الحلف بين ربيعة واليمن فعلمن مضر وإياد بإقبال اليمن فاجمعوا على أن كلمتهم تكون واحدة على اليمن واجمع رأيهم على أنهم يبعثون فصحاءهم إلى ربيعة ويعرفونهم بما صاروا إليه من اتحاد الكلمة فسار الفصحاء أبو عبيدة ، ومالك الأشجعي ، وعوف التميمي ، وعروة بن يعفر الكلابي ،

وأبو عمرو بن الأضرب ابن غالب الفهري حتى انتهوا إلى ربيعة فقصدوا كليباً وذكروا له الرحم والقرابة وحرضوه على الإجماع لقتال اليمن واعلموه أن التبع يريد قتالهم وقد رضينا أن نكون جميعاً يداً واحدة على اليمن ونسلم لك الراية ونحن بذلك راضوان فلما سمع كليب ذلك منهم وحرمة الرحم والقرابة ، قال : أنتم مسلمون لي اللواء على نزار كلها ، قالوا نعم قال لهم : اذهبوا إلى ربيعة يعني والده فإنكم تصيببون عنده أشراف ربيعة ، وعرفوه بما قصدتم له واسألوا الشيخ معاونته لكم وقلدوه رأيكم فنهض القوم حتى أتوا ربيعة بن مرة بن الحارث والد كليب وعنده جماعة من وجوه قومه منهم ؛ الحارث بن عباد ، وربيعة بن مالك ، والسفاح بن خالد ، وابن الحنفي ، وسهل بن العبيدي ، ومرة بن ذهل ، وكلثوم بن مالك ، وعمرو بن سهيل ، ومالك بن سعيد ، فلم يتركوا شيئاً مما قصدوهم لأجله إلا عرفوهم به وأخبروهم أن التبع قد وجه إلى ربيعة ابن عنق الحية منازلاً للرجال ومبارزاً للأبطال وأنه لا يبقى ولا يذر ، فلما سمع ربيعة بن مرة كلامهم وكان شيخاً فانيا قد سقط حاجباه على خديه وقد ضعفت حركاته وكانت بنو نزار تستشيره في أمورهم وفي كل ما دهمهم فيرون رأيه صواباً فقال ربيعة قد سمعت كلام الوافدين وقد كبرت سني ورق جلدي وقلت نهضتي عن محاولة الخيل وملاقاة الشجعان ، ولكن أدلكم على أشجع الشجعان وفارس الفرسان ، سيد الناس وأشرفهم اضر مهم ناراً وأعزهم جاراً بطل فارس ليس له في الخلق ممارس عزيز جاره آخذ ثاره تكون الراية بيده .

فقالوا : أيها السيد المحبور والبطل المذكور بين لنا هذا الرجل وأوضح لنا شانه فلقد أطنبت في وصفه وليس هذا الوصف إلا في ولدك كليب فإنه بطل همام و فارس مقدام عزم لا يضام وأمره لا يرام ، قال ربيعة هو من وصفتم وإليه أشرتم وكان اسم كليب وائلاً وإنما كليباً لأنه مهيباً منيعاً ، وكان عليه السكينة والوقار

قيل وإن الوافدين إياد ومضر لما سمى سمعوا كلام ربيعة فرحوا بذلك وسألوه ومن معه من ربيعة أن ينهضوا معهم إلى كليب فقال ربيعة نمضي إليه فأمر بإسراج بغلة فأسرجت وأتى بها إليه وحمله العبيد عليها ودارت سادات العرب حوله وساروا إلى كليب فلما دنوا من بيوت كليب عرف عبيده والد سيدهم فتواثبوا إليه يقبلون ركابه ، قيل : و قام كليب من مجلسه الذي كان فيه واستقبله ، وقبل بين عينيه ، فقال له : يا بني إن إخواننا إياد ومضر جاءوا في أمر دهمهم ولم يسعني فيه القعود عنهم ، وأنه قد أشرف على مضر وإياد من الخوف والجزع من أهل اليمن وعلينا مثل ذلك وقد غصَّ المجلس بوجوه قومه ، فعند ذلك ابتدأهم ربيعة بالكلام لكل من حضر من قومه بما قال الوفود وقال :إخوانكم قد سلموا اللواء إلى كليب فما الذي تقولون يا بني ربيعة

فقالوا إنه لها أهلاً وإننا لنصر بنى عمنا ونجمع الفتهم ، وجعلت مضر يحضرون ألفاً ألفاً لنقض الحلف الذي بين ربيعة واليمن ، ويذكرونهم الأرحام ويعرفونهم القرابة ويخبرونهم أن إياد ومضر قد رضوا بأن اللواء والرئاسة تكون لكليب وأن يكون الكل تحت أمره ونهيه فعند ذلك استوى جساس قائما وأنشأ يقول :

أما كليب فقد شدّ الـكـوالـه = وذاك ليت جرى بين أشبال

قد حاز مفخرها والخيل سارية = على جواد طويل الباعِ صَهَّالِ

وقام من بعده الأخوص فقال :

ألا أبلغ لديك بني نزار = وبلّغ قبلها عدنان دينا

أجابتنا لدعوتنا رجال = كمثل الأسد يحميين الـعـريـنـا

ثم قال : يا أولاد نزار إن مضر وإياد قد جد جدها واستحكم عقدها وهم نازلون عليكم يعرفونكم أن أهل اليمن قد سارت عليهم ملوكها وقد أتتكم بدواهيها حاضرها وباديها بجيش متكاتف وظلام مترادف يقدمهم الملوك من غسان وحمير وهمدان وهم بإخوانكم قادمون غير متأخرين فلا تغفلوا عن هذا الأمر فينتظم عليكم الشر وأعلموا أن من أسلم أخاه وابن عمه فقد أبطل شجاعته وكونوا في النصر يداً واحدة ، وانهضوا إلى أعدائكم الذين يريدون هتك حرمتكم ثم التفوا إلى كليب وهبوه القدر الناقد ؛ النهي والأمر ، وقولوا له إن إخوانكم مضر وإياد بك عائدون وبنصرك لائذون ، ويسألونك قطع الحلف فيما بينك وبين أهل اليمن وانقض ما عقدوا واهدم ما شيدوا

ولا تكن عنهم غافلاً ولا إلى ودهم مائلاً وابداي القطيعة لهم أبداً ثم أنشأ قـائلهم يقول :

أبلغ ربـيـعـة عـنـا أن واديـنـا = إن سال يوما بنا لم ينج واديها

وإن من جاءنا من أهل ذي يمن = وإن نأت عـن قـلـيـل سوف يأتيها

ثم قام لؤي بن غالب وأنشأ يقول :

تجاف مرفقاي عن الوساد = وبعت رقـاد عـيـنـي بـالـشـهاد

الا بلغ ربـيـعـة أنَّ جمعاً = لحميـر مـرصـداً في كل وادي

قيل : ولما سمع كليب مقالتهم ومدحهم له أقبل عليهم بالجواب مسرعاً ، وقال : أيها الوفد القادمون والسادة المستنصرون لقيكم الترحيب نطقتم بالصواب وقلتم أحسن الخطاب أقسم بمنشئ النعم والبيت والحرم والركن المعظم لأبذلن معكم المهج ولأضربن معكم بحسام غير مغمد اشهدوا أني أغضب لغضبكم وأرضى لرضاكم وقد نقضـــتُ

عهد اليمن فما لهم لدي عقد ولا ذمة فليشهد بذلك من حضر من إياد وربيعة فمن ناو أكم ناوأني ومن عداكم عداني حتى أبلغكم مرادكم أرجعوا إلى قومكم بالسرور والنعمة والحبور قيل : وتحالفوا وتواثقوا بأعظم العهود والمواثيق على ألا يخذل أحدهم أحداً فعزمت فصحاء مضر وإياد إلى قومهم وأخبروهم بما التأم بينهم وبين كليب وقومه قيل : فأيقنوا بالظفر والنصر على قحطان وأرسلوا إلى كُليب فقالوا انبذ العهد الذي بينك وبين لبيد فأنفذ إليه كليب .

وقال : إنه قد جاملناك وخالفناك والآن فلا عهد لك عندنا ولا ذمة ولا أصحابك وأنت فيما بيننا خليع وقد أعذرنا إليك وأنذرنا وحذرنا فشقّ ذلك عليه وبلغ منه مبلغاً شديدا ثم إنه تمثل ذات يوم وتأسف أسفاً شديداً وأنشأ يقول :

طار نومي فما أذوقُ هُجُوعا = أرقب النجم ذا عزام عميدا

من وعيد أتى إلـــي قـريـب = لكليب فزاد جفني شهودا

ثم أقبل على شرابه حتى غلب عليه السكر فطار عقله فجعل يشتم ربيعة ويتهددها ، فخرجت زوجته فسكنته فنحر وكفر ، وقال : أتعلمين أن أحداً يجسر على الملك ، فقالت له زوجته الزهراء : نعم إن كليباً لا يخاف ولا يهاب ولا يحفل بعســـاكر الملك

وخرجت الزهراء من القبة فأخبرت بكلامه الوجيه فقالت لها : اصبري على ما أنت عليه حتى أدبَّر أمري ؛ لأن لبيد كانت عنده الزهراء أخت كليب ويقال بل هي ابنة الحارث بن عمرو بن تغلب ثم إن لبيداً كتب إلى التبع يخبره بأنَّ كُليباً أول من خلع الذمامه وصار تحت لوائه جميع الأقوام قال صاحب الحديث : فأقام لبيد ينتظر جوابه فبينما هو مقيم ذات ليله إذ جرى بينه وبين الزهراء خصومة ، وكثر بينهما الكلام فقال لها : إنك جارية وأنت أمتي وتحسبين قومك يمتنعون عن طاعتي ، فقالت له : كيف لا يمتنعون من طاعتك وقد خلعوك من أمانهم وبقيت بلا عهد ولا ذمة وهم يحفظون لك الصهارة ويراعونك لهذا الأمر ولولا ذلك لقصر باعك وقل أتباعك كما فعلوا بعمر بن وائل إذ طوّقوه بالعار في القبائل ونهبوا أمواله وقتلوا أصحابه وأخذوا جميع ما معه من مال وأفلت من ظهر جواده حقيراً ذليلا فما ينبغي أن أكون أمة وأمي الوجيه بنت عامر بن فارس غسان وسيدها وقد رأيت ما فعلت قومي بك وبصاحبك وأفرطت عليه بلسانها فأغاظه ذلك غيظاً شديداً وبلغ كل مبلغ وتأسف على ما فرط به لسانها فرفع يده ولطمها لطمة ذرفت منها عيناها ، ثم قال لها لبيد :الله لولا ما ذكرت من أمر الوجيه لشددت قرونك إلى بكرة من الإبل وأواخرك إلى أخرى حتى تقطعك قطعاً قطعاً والذي يحلف به الناس لأبلين قومك وأنصارك بما لا طاقة لهم به ولا قدرة (ولا دفاع ثم ألقاها وأعرض عنها فأنشأت تقول :

عَسَى مُخبراً لي عن لبيد فإنّه = أتى بفعال منه أدهى من القتل

رضيتُـم بهـذا الـفـعـل في فإنني = لمملوكة لما نُهيتُ عن الأهل

قيل فلما بلغ كليب شعرها أخذته الحمية وقال مجيباً لها :

أزهراء كفي عن ملامي فإنني = أنا الملك العالي الكريم من الأصلِ

كريم منيع ماجد رأس قومِـهِ = إذا التقت الأقــران أكبر عن مثلي

ثم قال لها بعد ما اتصلت به ما دهاك قالت له إنّي أمة ولست بعربية ، ثم ذرفت عيناها بالدموع فعظم ذلك على كليب وقال لها احفظي ذلك واكتميه ثم عاد كليب إلى أهله وحدثهم كلام الزهراء وأنشدهم شعرها فلم يبق أحد إلا فاضت عيناه بالدموع ثم قالوا : ما لنا بقتال الملوك طاقة ، فعليك يا أبا المجد بالأناة والصبر إلى غير هذه الساعة فلما سمع كليب ذلك منهم خرج من المضارب وصاح : يا آل بكري آل تغلب يا آل حنيفة يا آل مرة يا آل ربيعة يا آل نزار يا آل معد بن عدنان وأقبل يعد القبائل من سائر ربيعة ومضر وإياد فجاءته العرب كراديس تترامى إليه من أفنية المضارب حتى أحاطت به من كل جانب ، وكان الرجل منهم يركب فرسه بغير سرج من العجلة وقالوا ما الذي دهاك وما نزل بك يا سيد العرب فقص عليهم القصة وأنشدهم الشعــر

ثم قال : يا إخوة العرب إن أنا قتلت هذا الرجل ونفيت الخزي عنكم وأخذت بثأركم ورفعت أيدي قحطان عنكم ما الذي يكون لي عليكم ؟ قالو : يكون لك ما لك وعليك ما علينا وأمرنا في يدك قيل فعقدها حينئذ ثمانية وعشرين لواءً وفرّقها على قبائل العرب فأول لواء عقده دفعه إلى الحارث بن عُباد ثم عقد آخر ودفعه إلى مرة بن ذُهل بن شيبان وكذلك سائر العرب ثم سار بهم إلى وادٍ يقال له خزازي ثم كمن بهم فضاق عليهم الوادي ومضى كليب وحده إلى لبيد وكان إذا أراد الرجل أن يدخل عليه أخذ سلاحه منه فلا يدخل عليه إلا الأعزل فأبى كليب أن يؤخذ سلاحه منه فنازعه الخدم القائمون على باب لبيد فضرب بسيفه رأس واحد منهم بسيفه رأس واحد منهم ثم ضرب آخر فقطع يده فولوا بين يديه هرباً ودخل كليب على لبيد فوجده جالساً على سرير ملكه فقال له :كليب ما بال نسائنا يلطمن فقال : لقدرة الملوك على عبيدهم ولا ينبغي لك أن تلفظ بهذا يا كليب قال : لئن لم اقتلك فأنا عبدك ثم علاه بالسيف فقتله وهو يذكره العهد والذمام ويقول : يا كليب لا تفعل ، قال له كليب : لا ذمة لك عندي ولا عهد ثم حز رأسه وخرج من القبة وسار إلى أصحابه إلى وادي خزاز فإذا أهل لبيد ثائرون كراديس بعد كراديس وكان إذا أراد اجتماعهم رفع النار فيأتون جميعاً وأشتاتا كما جرت بهم عادتهم قيل : وإنَّ أخا لبيد حين قُتل أخاه هرب لا يولي على شيء حتى أتى إلى ابن عنق الحية وسادات همدان وهم على الشراب يتناشدون الأشعار ، فلما مثل بين يديه قال السلام عليك أيها الملك الأشوس فرفع رأسه فقال :إن صاحبك لبيد قتله كليب ولم يخش سطوتك فامر له بغارة شعواء وأخذ الثأر منه كما

قتل الصاحب الحبيب والفارس النجيب الذي غدره محال وقتله في غير نزال لا شدَّ فرساً ولاسل سيفا بل فجعه كليب بنفسه وأحله بطن رمسه فارم كليباً بالنكال وأرضه بالرجال واجمع عليه العساكر وأمن قومه بالحسام الباتر وأنشأ يقول :

يا ابن ذي الحية المتوج بالملك = وشان الملوكِ شأن كبير

أيهـا الـــمـــاجـد الـمُـويَّدُ عِزّاً = هل لما كان من كُليب نَكير

قال : فلما سمع ابن عُنق الحية ذلك الشعر ووعاه قال اجلس فقد عرفنا خطابك فإن يكن كليب غدر بأخيك وقتله فلسنا نهمل قتله ولا نُقصرُ عن غارة لا تبقى لكليب ولا لقومه أثر ولا خبر ثم أمر الساقي يدير الكاس وأقبل يشرب فلما ثمل من الخمر أنشأ قول :

قد كنتُ أحسب أن تغلب وائل = ستجر حرباً إن تركت لبيداً

قتلو البيداً فهو رهن ضريحه = يوماً فلا سُعِدوا بفعل ثموداً

وجعل ابن عنق الحية ينشد أصحابه ويحرضهم على قتل ولد إسماعيل عليه السلام قال صاحب الحديث : ثم سار كليب في قومه حتى أشرف على الكلاب وعاين القوم ونظر الجيش فإذا هم متأهبون للقاء فزحف إليهم وجعل على مقدمته أخاه مهلهل في بني أبيه وجعل في الميمنة السفاح بن خالد وجعل في القلب كلثوم بن مالك وأوقدت الحرب نارها والتقت الأبطال المداعيسُ وتصادمت الليوث الفوارس وعملت السيوف في الكفاح ، وتلفت الأرواح ، واصطبر الفريقان للموت وانقطع الصوت وجعل مهلهل لا يصيب أحداً إلا نكسه ولا فارسا إلا افترسه ونظر كليب إلى مهلهل وقد هجم القوم في القلب فخشي عليه من اجتماع أهل اليمن فحمل كليب في بني أبيه وطلب راية قلب القوم فنكسها على أعقابهم ثم عطف على ابن عنق الحية فطعنه طعنة وقعت بين عينيه فولى منهزماً ، فلما نظرت إليه عسكره مولياً ، أنهزم القوم على أعقابهم ورجعت العرب إلى مواضعها فلما رجعت العرب رائحة أمر كليب بإحضار رؤساء القبائل فلم حضروا قال لهم : يا بني نزار إن وراءكم وأمامكم قاصمة الظهور ولن ينال مراده منكم إلا الصابر فاحذروا الغارة واعلموا أنكم ان فررتم فلم يقم لكم قائم بعدها ولم ينصب لكم لواء بين العرب ، ولئن صرتم كمدتم عدوكم وظفرتم بالحرام ورفعت لكم على رؤوس العرب الأعلام ، فمن مات منكم ما ترك عليه ملامه ، ومن عاش منكم عاش بالغا من السيادة والعز الدائم ثم قام من بعده همام وقال يا قوم اعلموا أن الجزع لا ينفع عند الضرر وإكرام العدو لا يرفع والصبر على اصطلاء الحرب من أسنى الأمور واستقبال الموت خير من استدباره وبرد الأمن لا ينال إلا بعد اصطلاء ناره ثم قام من بعــــــده

السفاح بن خالد فقال : يا قوم إنّ اليمن أكثر منكم عدداً وأجمع منكم عدداً وأعز منكم من بعده أسواس بن عَشاش العبيدي وقال :يا قوم لقد لقيتم أعداءكم فاضربوا الهمام وابروا العظام ودعوا حبيبة وأبطال قومهم من الأيتام واعلموا أنه لا بد من الموت ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ عض على شكيمة = مثل الشراك قدمن أديمه

وملكم يجري على عديمه = في سالف الدهر وفي قديمه

وأقبل كل رئيس قوم يحرض قومه ويأمرهم بالصبر ، فلما فرغ القوم من تحريض أقوامهم جلس كليب يعقد الرايات فأول راية عقدها سلمها إلى أسواس بن عشاش ، وقال كن في الميمنة فأخذ الراية بيده وهزها وأنشأ يقول :

أتتكم يا بني قحطان منا = كرام ليس مثلهم كرام

بأيديهم سيوف مرهفات = وأرماح مُشَققة تمام

مثل ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى السَّفاح وأمره أن يكون في القلب وقال يا ابن العم أنت القطب وعليك المدار وأنا متكل عليك فأخذ الراية بيده وهزها وأنشأ يقول :

شفينا النَّفس بحد أولاد عادٍ = وأوردنـاهـم حـوض الـحـمـامِ

وسُقَنا الخيل ملجمة إليهم = بفرسان عطارفة كرام

عقد راية أخرى ودفعها إلى الأخوص بن جعفر الكلابي وأمره أن يكون هو وقومه في الميسرة فأخذ الراية وهزّها وأنشأ يقول :

سادت كلاب براية منصورة = عقد اللواء لها المُهذب وائل

فَسيُوفهن صوارم هندية = ورماحهم يوم النزالِ عوامل

قيل وعقد راية أخرى ودفعها إلى مسعود بن عبد القيسن فأخذ الراية وهزّها وأنشأ يقول :

يا بني قحطان قد طال المقام = وفشي بين الفريقين الكلام

فـاصـبروا ولا تـجـزعـوا مـن حربنا = واصـطـلـوا الـنّـار إذا جـن الـظـلام

ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى خنيش ، فأخذ الراية بيده وأنشأ يقول :

كاع عن لقيا الـصـنـاديـد اللئام = وتـبـدا الآن لـلـمـوت الـكـرام

وتــبـد الـلـعـدا مـنـا الـقـنـا = وبــدت مـنـه أمـور لا تــرام

ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى عمرو بن عثمان الكناني وأمره أن يلحق بالناس فأخذ الراية بيده وهزها وأنشأ يقول :

إن بني قحطان في ضلالها = قد أقبلت يـقـدمهـا أبـطـالـهـا

ســـهـزم الـعـز الـذي يـنـالـهـا = وقـطـعـت منها غــرى أوصـالـهـا

قيل : ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى الحارث بن عباد ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى مرة بن ذهل قيل : فلما فرغ كليب من عقد الرايات دعى بإحضار لامة حربه فاستخرج من خيمته من أدم الطائف درع صغير الزرد وكثير العدد من نسج داود عليه السلام فلبسها وعلاها بحريرة حمراء ، ثم علا بجوشن مذهب مقصب ثم تقلد سيفا ماضيا واعتقل رمحا عاليا وركب على رأسه بيضة حسنة وحبسها بمشدة خلوقية ، ودعى بجواد له أدهم ، كأنه غراب أسحم يسمى المشهر ثم أقبل على كعب بن زهير ، فقال يا ابن العم إني قد رأيت أمرين ، وأمرك أن تفعل أحدهما ، قال له كعب : قل ما شئت يا ابن العم ، قال كليب إما أن تكون معي في القلب ، أو تأخذ قطعة من الجيش وتكون على رأس الثنية إلى أن تقوم الحرب على ساق وتلتقي الفتيان وتحمي الحرب وتظهر الكمناء ، فإذا تداعت كل قبيله بأسمائها ورايتي قد كررت وحملت ، فهناك احمل وهز السيف ولا تكذب الظن فيك ، فقال كعب :هذا هو الرأي السديد والأمر الرشيد ، وسأفعل ما قلت

قال صاحب الحديث : فلما أصبحا عبأ التبع عساكره ، فكانوا عشرة صفوف في كل صف عشرة آلاف فارس وقد تقدم ابن عنق الحية أمام الجيش في عشرين ألفا وأمرهم أن ينزلوا موضع هنالك حتى يلحق بهم وأمر طليعة على كليب وعساكره فلما رأوا عساكر كليب رجعوا إلى التبع وعرفوه كلام كليب لمضر وإياد وتحريضه لقومه ، ثم إن التبع بعث إلى ابن عنق الحيه وصاحبه رسولاً يقول لهما سيروا حتى تنزلا على نهر الذيب بخزازي فإني لاحق لكما بجمع عظيم فساروا حيث أمرهما التبع ونزلا على

عسكر كليب وهما يركضان على الماء فحيل بينهما وبين الماء وقال كليب يا قوم هؤلاء إن وصلوا إلى الماء ملكوه علينا وهم عسكر كثير ثم جاء قائد آخر بجمع من اليمن وقد ورد في زمرة من اليمن فلما حيل بين أصحاب التبع وبين الماء نزلوا ناحية من الماء ينتظرون قدوم تبع بالعساكر وإنَّ التبع أخذ راية وهزها وسلمها إلى أبي ذؤيلة الهمداني وكان أبو ذؤيلة من ملوك همدان ، وأمره باللحوق إلى ابن عنق الحية وأمره على عشرة آلاف فأخذ الراية بيده وهزها وأنشأ يقول :

حو المسير إلى ربيعة بالقنا = وتأهبوا لتطاعُنُ الفرسان

كُونوا كراما في اللقاء فإنَّهم = نَقَضُوا العهود وصادق الأيمان

بأن يلحق بابن عنق الحية ، فسارا حيث أمره التبع وأنشأ يقول عند ذلك شعراً : يا بني غسان جدوا للقا واقصدوا آل مَعَد بالأسل قيل :ثم إِنَّ التبع عقد راية أخرى ودفعها إلى قائد آخر من أكابر قواده ثم عقد راية أخرى ودفعها إلى الحروان وأمره على السكاسك فأخذ الراية وهزّها وأنشأ يقول :

سار السكاسك بالقنا مشهورة = لتطاعن الفرسان في الميدان

حزنا ديار معد حَقَّاكُلها = وبفخرها تسموا على الشجعان

قيل ثم عقد راية أخرى وسلمها إلى رافع الحميري وسيره في عشرة آلاف فارس من حمير فأخذ الراية بيده وهزها وأنشأ يقول :

نحث السير حنّا للنزالِ = بأطراف المثقفة العوالي

ونَصحبُ في اختلاس العُمر مِنا = قلوباً لا تَهابُ من القِتالِ

قيل : وسار كل صاحب راية حيث أمره التبع وأخذت المواكب تعدوا إلى ابن عنق الحية ثلاثة أيام وإنَّ كليباً أجاب التبع على الذي تكلم به وأنشأ يقول :

ظننت ظُنونا فَأَخلَفتُها = كما أخلف الظنَّ لمعُ السراب

وقالوا الغنيمة في وائل = فجئت إليهم بقوم صعاب

قيل : فلما سمع التبع كلام كليب ونظمه أمر أصحابه بالاستعداد للمسير إلى ولد نزار فلما بلغت الأخبار إلى مضر وأياد بخروج التبع وقصدهم رحلوا من ديارهم ونزلوا على ربيعة ،وكان أول من نزل عامر بن الضرب الكناني في بني كنانة ثم كعب بن أمامة في بني أياد والأحوص بن جعفر في بني كلاب والنهاش بن تميم وأقبلت قبائل مضر تعدو كل إلى ربيعة فذبحوا لهم الذبائح وسكبوا لهم الخمور فأكلوا وشربوا ثم قال لهم كليب : يا بني نزار إن نحن تركنا الحريم ينفضحن انفذوهن إلى بلاد الحبشة ، قالوا : أصبت الرأي يا أبا المجد ، وأمرهم بالمسير بهن حتى لحقوا بأبانين وهي دارهم الأولى ثم إن نزار أقامت الراية لكليب وسادت تحت لوائه حتى نزلوا على بعض المنازل وألحقوا مهلهلا وجساساً مع الحريم في خمسمائة فارس وقالوا عليكما بالحريم وسار كليب في ولد نزار قاصداً التبع مخافة أن يأتيه على غرة فلما سمع التبع بمسير كليب غزا في جيوشه وعساكره فلما علمت عدنان أن التبع جد جده وأنه سيطأ بساط ولد إسماعيل ويستبيح حريمهم وأموالهم فتحاشدت العرب والتف بعضهم إلى بعض وساروا والراية على رأس كليب متقلداً لأمرهم إلا أنه يشركهم في جميع الأمور ولا يقطع أمره إلا بأكابرهم ، مثل سهل بن شيبان ،والحارث بن عباد وعوف بن ملحم وبرّاق بن ذهل وامرؤ القيس بن إبان ومن مضر وإياد عامر بن الضرب الكناني وكثير بن منقذ التميمي ، وتميم بن الأبرص الأسدي وكعب بن زهير والنعمي بن قريع وأسواس بن عشاش وكعب بن مامه فساروا مع كليب بأحسن عده وهم ستمائة لواء تحت كل لواء ألف فارس فجعل في الميمنة عامر بن الضرب وجعل في المسيرة عدي بن ربيعة وسار في

جيوشه ، فبينما هو سائر قد حفل بالجيوش ، فإذا برجل قد أقبل إليه وقال : يا كليب إن لك عندي نصيحة قال : وما نصيحتك ومن أين أقبلت وإلى أين تريد وما اسمك ؟ قال أنا رجل يهودي يجمعنا وإياكم إبراهيم عليه السلام ، وإني خرجت من بلاد التبع فرأيت ما عنده من الجزع واعلم أنه قد جهز جيشاً عدده ألف ألف فارس وأمر عليهم أمراء من ملوك اليمن فقال له كليب سم لي الملوك أرباب التيجان الذين عقد لهم التبع الريات فقال الأول الحوفز الثاني أخوه السم الثالث ابن عنق الحية الرابع ذي اللحية الخامس وائل بن عمرو السادس ابن عثمان السابع كثير المذحجي الثامن أسد الغسّاني التاسع الأودي العاشر الخيلان وكل هؤلاء الملوك الواحد منهم في عشرة آلاف فارس ومن لم أذكره من أهل المطامع كثير ، والذي أشير عليك به أن تنهض بمن معك إلى نهر الذيب وتجعلون الماء وراء ظهوركم وتمنعونهم منه وتملكونه عليهم فإنه لا يغلب إلا من ملك الماءوتبعث عيونا تنظر إليهم فإذا رأوا لهم وارداً استأمروه فعند ذلك دعى كليب بالأحوص بن جعفر وضم إليه عشرة آلاف فارس وهم بنو قيس أمره عليهم ودعى بكعب بن أمامة وسلم إليه إيادا وأمره عليهم فلما تكاملوا أمرهم بالمسير والنزول من وراء نهر الذيب فساروا حتى نزلوا خلف نهر الذيب وبلغ ذلك التبع فقال لمن حوله : لم نزل بنو نزار بهذا الموضع ولم عصوا أمركم حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه ؟ فقال ابن عنق الحية أسعد الله الملك إنه لم يطمع أحد في ملكك إلا أنهم قتلوا النَّمر بن عثمان وعمر بن وائل ولبيد وقد وقعوا في أمر يريدون دفعة عنهم وعن أنفسهم فلما

سمع التبع كلام ابن عنق الحية عقد راية وسلمها إليه وأمره بالسير فأخذ ابن عنق الحية الراية بيده وأنشأ يقول :

حَانَ البراز على نزار في الوَغَى = صبراً سنسقيهم بكأس عقار

جيش يسير إليهم في فتية = ترمي أعاديها بنار شرار

قال : ثم عقد راية أخرى وسلمها إلى السمر فأخذها وسار حتى لحق بابن عنق الحية ، ولحق بهم التبع ، واتصل الخبر بكليب فبعث الحارث بن عباد ، وعرف صدق اليهودي ، وأنه ناصح في قوله ، فسار الحارث حتى أشرف على ابن عنق الحية ، ثم أمر التبع رسولاً إلى كليب يذكره ما بينهما من الحلف والعهود والمواثيق ويريد بذلك الخديعة والحيلة فأقامت الرسل عند كليب ثلاثة أيام ،فبلغ ذلك مضر وأياد فداخلهم من ذلك أمر عظيم وخافوا أن يرجع الحلف بين ربيعة ومضر وأهل اليمن فينتقض الأمر الذي يبينهم فمشى بعضهم إلى بعض وانصرفت الرسل إلى التبع وأقبل كليب على قومه وقد تفرق بعضهم إلى بعض فقال لهم : مايتم هذا الأمر إلا بكم ، وإنكم إن تخاذلتم طمعوا فيكم فاجتمع أولاد نزار إلى كليب وقالوا : يا أبا المجد إنا قد عرفنا أن التبع قد أرسل إليك يطلب ردّ الحلف والصلح قال :كليب يا بني مضر وإياد ما سرت من أرض العراق إلى بلاد اليمن .

لأطلب مناقضه هذا الأمر ، والتبع يريد أن يصدع بيضتنا ، وهذا ما لا يكون أبداً ، والآن قد كشرت الحرب عن أنيابهاورفعت عن أذيالها وكشفت عن ساقها فالزموا أماكنكم فلما سمعت مضر وإياد كلام كليب عادت إلى أماكنها وبعث كليب أربعمائة فارس من بني قيس ومائة فارس من بني تميم ومائة فارس من بني أسد ومائة فارس من أياد وقال قد قلدتكم أمري فاقعدوا بخزازي فلما سمعت مضر وإياد ذلك عادت إلى خزازي وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم في قصيدته المعلقه النونية :

ونحنُ غَداة أوقد في خزازي = رفدنا فوق رفد الرافدينا

قال : واطمأنت يومئذ مضر وأياد وبنوا على الرجوع في الليل فأحس كليب بذلك منهم فقام خطيباً وقال يا ولد نزار كونوا اليوم أعواناً على الحرب وجدوا الطعن والضرب فقد أتتكم ملوك اليمن وأبطال صنعا وعدن تريد بكم البوار وقتل صغاركم والكبار فلا تولوهم الأدبار حيث لا مجال ولا فرار فمن فشل منكم قبل اللقا فليلحق بالنساء فأخذتهم الحمية من تحريضه وأقبل التبع بعد ذلك في مواكبه وحفدته وأرباب دولته وإخوته وجيوشه وأقبل كليب في ولد أبيه وهم كالشامة البيضاء في جنب البعيــــــــــــر الأسود بين مواكب اليمن فلما أشرف التبع على مضر وإياد وقد منعوا جنوده ورود الماء أمر الجيش أن يطبق عليهم فأطبق أبطال ،اليمن فلما نظر كليب إلى ذلك نـــــادى في

قومه يا آل ربيعة الحاقة الحاقة فبعد هذه الوقيعة ليست تهامة لكم بدار إن لم تجمعوا بالسيوف الحداد ، وإلا فالفضيحة في أعقابكم لمن بقي منكم ، ويوشك أن لا يبقى أحد منكم إن فشلتم ، فعندها أقبلت ربيعة ومضر وأياد فحملوا على أهل اليمن حملة صادقة فردوهم على أعقابهم واختلطت الفتيان وتلاحمت الفرسان وتدارك الضراب والطعان من أولاد نزار في رؤوس أهل اليمن فلم يزل القوم في القتال والنزال سبعة أيام ، وقتل من الفئتين ثلاثون ألف فارس سوى الجرحى ، وافترقوا ثم تداعوا بعد ذلك إلى البراز فبرز كل قرن إلى مبارزة وبرز من أهل اليمن فارس شديد وهو ينادي : هل من مبارز وأنشأ يقول :

قد علمت وائل بعد النهر = ونحن نعدوا ساعة ونجري

أَنَّا مُلاقوهم غداة الفجر = بكل مشهور حُسام يفري

فبرز إليه الحارث بن عباد وأنشأ يقول :

نحن منعناكم ورود النهر = بالسمر والبيض غَدَاة الفجر

فوارس من مضر وبكر = على خيول شزب وضمر

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فبادره الحارث بالطعنة أرداه عن فرسه قتيلا فبادر إليه قومه فاستنقذوه وعاد الحارث إلى تحت راتيه فبرز من أهل اليمن فارس عظيم يقال له عرفجة ، فشهر نفسه بين الصفين وجال برمحه بين الفريقين ونادى من يشتاق الشرب كأس الحين ، فهذا وقت آداء الدين وأنشأ يقول :

قد علم الحيانِ من عدنان = واليـمـنـيين ذوي التيجان

ومذحـج والـحـي مـن غـان = مواقفي إذا التقى الجمعان

قال فبرز إليه أشواس بن عشاش وأنشأ يقول :

قد علمت وائل ذوي الاخبار = وسائر الأحيان من نزار

مواقفي في حومة الغُبار = والحرب ترمي كشرا والنَّار

أترك قرني صابغ الإزار

ثم حمل كل منهما على صاحبه بادره عرجفة بالطعنه أرداه قتيلاً ، وجال في ميدانه وأنشأ يقول :

أنا الذي أردى كلّ دارع = بطعنـه تـعـلـو عـلـى الأشاجع

من فارس مدفع ممانع

قال فبرز إليه عوف بن منقذ وأنشأ يقول :

دقت لـحـاك الله يـا ابـن قـادع = طعنة قرن في الوغى مسارع

ليس له في الحرب من منازع

ثم قال : حمل كل واحد منهما على صاحبه بادره عوف بالطعنه أرداه قتيلاً ثم عاد إلى مقامه فخرج من أهل اليمن فارس عظيم يقال له الغطريف وكان شجاعاً عظيماً يقر له بالفضل كلُّ الشجعان ، فحمل على مضر فقتل رجلاً في الميدان وجال وصال وطلب براز الرجال وأنشأ يقول :

قل لإيـــــاد وجـــمـــوع عـــامـر = هل فـيـكـم يـا قـوم مــن مـبـادِرِ

أتركه يصلـى لَظَى المقابر = بمرهف ذي شطب مُجَازرِ

قال : ثم نادى يا آل نزار هل عنكم من مبارز ، قال فبرز إليه فارس عظيم يقال له خالد الكناني وهو من فرسان العرب وشجعانها والمعروفين للبراز في مواقف الحروب وأوطانها وهو يرتجز ارتجازاً حسناً يقول فيه :

أنــــاك لـيـت من بني نزار = تـعـرفـة الأ بـــطـــال بـالـمـغـوارِ

يا نقمة من بطل كرار = بصارم مهند بتار

قال : ثم التقيا وجالا في ميدان الحرب وطال بينهما الطعان والضرب فسبقه الغطريف فأرداه قتيلاً ثم صال وجال وتفاخر على الأبطال ونادى بالنزال وبرز له ساعدة وكان شجاعاً له الشجعان بالأيادي شاهدة بطل ضرغام وأنشأ يقول :

قد علم الأقوام أني ساعدة = فتى يمد للحروب ساعدة

وهمة الأبطال عني قاعدة = أترك أحشاء الأسود راعدة

ثم حمل كل منهما على صاحبه وطال بينهما القتال واصطدما صدمة الأبطال فطعنه ساعدة فأخطأته الطعنة ومال على ساعدة فأرداه قتيلاً وجال في ميدان الحرب وأنشأ يقول :

إنّي قـتـلـت خــالــداً وسـاعـدة = والخيل في ضيق المجال واردة

نازلة في جريها وصاعدة = مطرودة يوم الوغى وطارده

والتغلبيون لنا مجالده = ونارُهُم عند اللقاء خامدة

ونادى هل من مبارز يا أولاد نزار فلم يبرز إليه أحد فلما رأي كليب فعل الغطريف دعى بفارس يقال له السلفي وكان فارسا معلما فأمره بالخروج إليه فخرج وأنشأ يقول :

لا كرّ إلاكر ذي القمطري = وآل بكر في العجاج الأكدر

وآل قيس ذي الثنا والمفخر = بكل مصقول القرار أبتر

حتى نبيد ســـــروات حمير

قال : وحمل ذو القمطر على الغطريف وهو يقول أيضاً راجزاً :

إني من تغلب في أعلى النَّسب = من يلقني يلقى المنايا والعَطَبَ

سيلق ضرباً لي بسيف ذي شَطَب

قال : فحمل كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وتطاعنا طعاناً عظيماً حتى جالت الخيل بينهما وعلاهما القسطل والغبار حتى حجبهما عن الأبصار ثم إن السلفي عطف على الغطريف فطعنه في قلبه حتى خرج الرمح من ظهره فجدله صريعاً ثم عاد إلى قومه سريعا وعند ذلك برز من تغلب رجل عظيم يقال له عمرو بن الفارة وكان شجاعاً فاتكا ، يضرب به بنو تغلب الأمثال فجال في الميدان وأنشأ يقول :

وقائعي في الخلق مشهورة = لم يخل من فعلي يقيناً مكان

فهل كمثلي اليوم من فارس = يقتحم الحرب الزبون العوان

ثم قال التبع يا ويلكم من لهذا الفارس يكفينا شره فبرز إليه فارس من اليمن من بني سليم وهو بطل همام وفارس مقدام أسد ضرغام وكان يعرف بالكادوم لأنه كان يكدم شفتيه في الحرب إذا برز إلى الفرسان ، فقال للتبع أيها الملك أنا له أبرز إليه وأكفيك مؤنته فقال له التبع ابرز إليه وأرحنا منه فبرز إليه الكادوم وأنشأ يقول :

وافـــاك قـــرنٌ واحـــد الـزمـانِ = مثقف الخَطَّى ذي السّنانِ

في الـكـف مـنـه صارم يـمـاني = من فوق هذا تلمع حصان

قال : ثم حمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه والتحما واقتتلا ثم افترقا ولم يظفر أحد منهما بصاحبه ، ثم عادا إلى مقامهما ، وأقبل كل منهما ينظر إلى صاحبه يرمقه شذراً ويدبر فيه أمراً ، ثم جال الكادوم بين الصفين ولعب برمحه بين الفريقين وأنشأ يقول :

لا تـعـجـلـن واصــطـلـي لـظـاهـا = وثبت النـفـس عـلـى فـنـاهـا

فقد أتاك فارس نهاها = يضم ألاهـــا عـلـى أخـــراهـا

فبرز إليه عمرو بن الفارة وأجابه على شعره وأنشأ يقول :

إن بني عدنان في عُلاها = أَزُود عنها أبداً حماها

مقارع في الحرب من ناواها = بادرتها مُستلبا رِداها

وحمل كل واحد منهما على صاحبه فتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين وشخصت إليها الأبصار ، وتطاولت الأعناق ولم يبرحا في ضرب أليم شديد يلين له الحديد ويشيب منه الوليد ويميت البطل الصنديد إلى أن كلت منهما السواعد وإن عمرو أهرب بين يديه الكادوم حتى كاد يدخل في الصف ثم إن عمر و اتبعه وطعنه فراغ عنها الكادوم ولم يعمل فيه السنان شيئا فرمى عمرو بن الفارة برمحه من يده وسل سيفه وضربه فلقاه بحجفه فقد سيفه الحجفة والبيضة ، ونزل في رأسه فجدله صريعا وعاد ابن الفارة إلى مكانه فقام فنادى التبع بأعلى صوته من يبرز أيها الفرسان منكم إلى هذا الفارس فلم يجبه أحد لما رأوا من الغريب ثم نادى الثانيه فلم يجبه أحد وأبدي الخوف همهم ثانية فنادى الثالثه فأجابه شمر وقال : أنا الهمام الذمر أيها الملك إنّ العرب كاعت عن نزاله ، وكفت عن قتاله و ضافت من بأسه وصعوبة مراسه فسوف أكفيك شره وأسكنه قبره وبرز بين الصفين وشهر نفسه وقال للتبع : آتيك به أسيراً أو قتيلا قال الملك بل ائت به أسيراً قال : فاقسم برأس الملك لأفعلن لك مرادك وليـــردن

من أرادك ، قال التبع : مثلك من قال وفعل فعاد إلى خيمته فاستخرج منها درعا داوديًا فلبسه وعلاه بجبة صفراء وركب على رأسه بيضة مذهبة حسنة الصقال ودعى بفرس يقال لها النجوم واعتلاها وأنشأ يقول :

إنِّي أنا الشم إذا طال الضَّراب = يا ويلكم مني لقد حق العذاب

أجر رمحي وحُسامي في الوَغَى = فذاك للطعن وهذا للضراب

قال : فتقدم على فرسه النجوم وتقلد سيفه واخترط رمحه واحتزم بمنطقته وتنكب بحجفة واعتقل رمحه وجال بين الصفين ولعب برمحه رأي الفريقين ، ونادى من يريد شرب كأس الحين وأنشأ يقول :

قد جاءت الفرسان من تغلب = وحمير داهية لاتغيب

ستتلف الفرسان في حَرِّها = ويفقد الأخ أخاه النجيب

ثم نادى أين كليب سيد قومه وعزيز عشيرته؟ أين هذا البطل الهمام المبارز والليث المقدام المناجز فلما سمع كليب كلامه وفهم مرامه انقلبت عيناه في أم رأسه وانتفخت أوداجه من حماسه وكان إذا غصب لا يطيق أحد رده غير كعب بن زهير ، لأنه كان له ند وكان نظيره في الرأي والرياسة والكمال والنفاسة فلما سكن غضب كليب ضرب بطن فرسه وحمل على الشمر وهو يقول :

يا خزية قد أخذت بالقُلوبِ = من حمير فاضطربت باللهيب

رأيتم الأبطال في مارق = يلوح في الحرب كلوح القضيب

قال : فعجب من إقدامه الأبطال وحار في جرأته الشجعان فلما رآه السفاح بن خالد وقد حمل على الشم حمله ماجدة ووصل إليه عوف في حملته وقال يا آل نزار أتاكم الغوث والمدد ، ثم حمل في القلب وأسعر نار الحرب فلم ير فارساً إلا جدله ولا بطلاً إلا صرعه وجندله فبينما هو في حملته إذ رأى الأفوه الهمداني فحمل عليه وصرف الجواد إليه فلما رأته بنو همدان أيقنوا بالذل والهوان وهمت بنو همدان بالهزيمة قال صاحب الحديث : فلما رأوا الأفوه الهمداني قد ثبت وفي أرض الحرب قد حتَّ مالوا بأجمعهم إليه وعولوا في دفع ضيمهم عليه فحاموا ببأسهم عنه قال : وكان حامية القوم مدحج وأقبل التبع يجول في الميدان واشجر الضراب والطعان وفي ذلك يقول عوف :

نحنُ رَسينا في التَّلاقِي لكم = وملكنا في الروع نفس المضيق

يوم لا تَستُر خَودٌ وَجهها = فزعاً والرِّيقُ يابس في الحلوق

قال : فطال على الناس القتال واشتد النزال ، فكانت مضر مما يلي همدان وكليب في القلب بإزاء الملوك وكعب بن زهير عن يمينه والسفاح بن خالد عن شماله وتجالدت الفرسان وعطلت الرماح وكلت الصفاح من الكفاح فلما رأي كليب صبر أهل اليمن على الضرب والطعان عطف كليب على ملوك اليمن وانثالت القبائل حتى ملأت البر والساحل ولا تسمع إلى الهيمنة حتى قتل الشمر فبادرت العساكر إلى الملك وقالت؟ جاءتك الخيل فانهزم التبع إلى وادي الشمر وأمرهم بالنزول وأقبل على البقايا من قومه فأمرهم بالنداء في الجيش أنّ التبع قد نزل في وادي الشمر ، وقد اجتمعت إليه الجنود والجموع وأقبلت إليه مذحج ومن يليها ورجعت حمير وغسان ورجعت لخم وخدام ، وسار كليب في أثرهم بأولاد نزار لا يزدادون إلا صبراً ويتنادون بالأرحام والآباء والأعمام حتى أدركوا القوم ورفعوا عليهم الصوت فاقتتلوا قتالاً شديداً وولا نزار قال : وغشيهم كليب في عشيرته وفاجأهم بانهجامه وباداهم بانتقامه فأكثر في قحطان القتل ومالوا إلى الذل فعند ذلك علم التبع أن الموت قد أقبل ، فحمل في القوم حملة منكرة ، وصدقهم القتال واقتحم القسطل فبادره كليب بالحملة والتقت العساكر ودارت الدوائر وتنادت كل قبيلة بأشعارها فاصطبرت للموت من خوف عارها وولت أهل اليمن

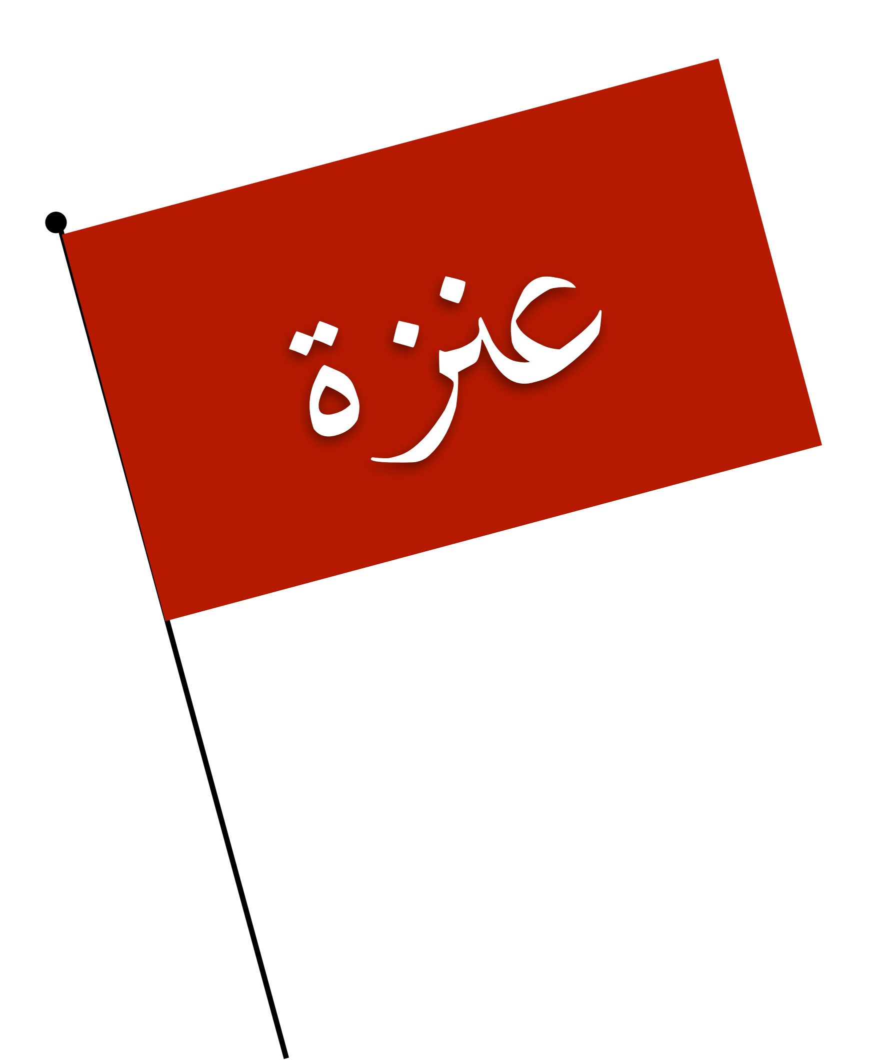
أدبارها وأثارت الحرب شرارها وأراد تبع الهرب ثم شجع نفسه وما ذاك إلا ليسكن رمسه وجال بين الصفين ونادى أنا الملك الهمام والسيد الضرغام البطل المقدام أنا الملك الصهبان السابق إلى الأقران ، فلما سمعت العرب نداء التبع رجوا الحرب وأجابوا النداء للضرب وعملت السيوف وبادرت الحتوف وخرقت الصفوف ، وتنادت العرب واشتد القتال وأقبل أبو ذؤيلة الهمداني ينادي بين الصفين ، أنا البطل المعروف أنا مفرق الصفوف يا بني نزار هل من مبارز اليوم يوم الهزاهز ، فحمل عليه السفاح بن خالد وقال : ويلكم هلم إلى أيها البطل الهمام الفاتك الضرغام ، فتطاردا وتجالدا ، فبادره السفاح بضربة على عاتقه فحماه الدرع ووصل إليه ذباب السيف فجرحه ، وعطف عليه فولى منهزماً ، وكان فرسه سابقاً فتنحى عنه هذا . وإن التبع حمل على كليب وكانا يتجالدان حتى حجز بينهما الليل ، ثم إن الجمعين باتا متجاورين يحرس بعضهم بعضا ، وأصبحوا على مثل ذلك حتى قتل خلق كثير ، ثم عادوا بعد ذلكواصطفوا فعدلت الصفوف وزحفت الزحوف ، وارتفعت الأصوات وعلت الرايات ، فحمل جعفر بن ثابت بمن معه من مضر حملة منكرة ، وحملت العرب حملة رجل واحد على قلب العسكر وحمل التبع بمن معه وقاتل قتالاً شديداً ، فتكاثرت عليهم الأبطال من كل جانب ، فأزالوا صفوف اليمن وحمل السفاح على أبي ذؤيلة الهمداني ، فطعنه طعنة قتلته ، واختلطت الأبطال والرؤوس منهم تتطاير ، والخيل تطأهم بالحوافر ، فلما حمى الوطيس وقامت الحرب على ساق ، واشتد الخناق ، وشدّ عتبة بن زهير على فاتك فطعنه طعنة منكرة خرقت الدرع وجازت في صدره حـــــتى

خرجت من ظهره ، فخر صريعاً ، ونظر كليب إلى التبع وهو في صدر الموكب ، فصاح يا آل تغلب وحمل عليه . . . ثم أطلق عنان فرسه فجرح ابن عنق الحية ، فكسرت المواكب وولت الخيل بين يديه وهو يخرقها حتى وصل إلى التبع فطعنه في صدره فصرعه فخر إلى الأرض تحت سنابك الخيل ، ثم أطبقت القبائل على كليب ووقع فيه جراح ، ثم حمل امرؤ القيس بن إياد على ملك من ملوك اليمن فطعنه فقتله ، وحمل مرة بن ذهل على ابن عنق الحية فطعنه فأرداه قتيلا ، فلما قتل هؤلاء الأربعة الملوك ولت أهل اليمن هاربة على أعقابها وتفرقت في الأودية مولية على أدبارها في الليل حتى أشرق النهار ، فنادت القبائل كلها كليباً ، ما قبلك ولا بعدك أحد فعل فعلك ، ونظر إلى همدان فتبعهم همام بن مرة في أواخرهم فقتلهم قتلاً كثيراً ، وفات منهم خلق كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وكان القوم قد خلّفوا أموالهم بوادي السلان فنهبهم همام ، وصبحهم وهم منهزمون يطلبون ،اليمن ، وفزعت ملوك اليمن فلم يحملوا بعدها لقتال ، ورجع كليب وسار بمن معه مع نزار بالنصر والغلبة والقهر وقد قتلوا ملوك اليمن قال : فرجعت بنو نزار ظافرين وقد غنموا أموال اليمن وأفنوا رجالها وجدلوا أبطالها وقتلوا سادتها ، وعزّوا على جميع القبائل وهابتهم ملوك اليمن إلى عصرنا هذا إلا ما كان يغبن بعضهم على بعض وكان أكثر الغلبة لبني ربيعة ومضر وأياد على اليمن وبادت ملوك اليمن وملكت نزار الأرض وملئت أيديهم بالغنائم وإن كليبا جعل وسم الملوك وتيجانها ،له وانقادت لـه الأحياء من نزار ودانت له الـــقبائل

والشجعان فداخله عجب بملكه وظفره على ملوك اليمنوإن كليباً لما فرغ هو وقومه من هذه الوقع ، وقتل ملوك اليمن ورجع ومعه غنائم لا تحد عادإلى بلاده وكانت تلقاه القبائل بالتهاني فاعترضته امرأتان أحدهما مضرية والأخرى ربيعية وهي بنت الوجيه امرأة لبيد فبدأت المضرية وقالت يا وائل فقت الأوائل وسدت على جميع القبائل بالعز الشامل والبأس الكامل والملك الذي ليس بزائل ، علت لكم المراتب وصالت بكـــــــــم المواكب ، قدمت بأسعد مقدم عليا مُكَرّم سالما مسلم ليهنك الظفر بتبع الملك نزعت رئاسته وأعدمته نفسه وهدمت مناره وأطفأت نارهوأعززت مضراً وأياد في جميع البلاد وأحللتهم الديار وأسكنتهم أعلى المنار وأحللت باليمن البوار فأصبحت العرب لك شاكرين ولأمرك طائعين ولك معينين دانت لك الملوك وزالت عنك الشكوك معينين وأنشأت أم الوجيه كلاماً بين النثر والنظم وهو : أيها السيد الأفضل والفارس البطل لك العز الخصيب والشرف الحسيب عزت بك مضر وإياد علوت بعزك على الأطواد ، هلكت بك ملوك قحطان وذلت بك أبطال همدان فلك الفخر الأسني والعز المعلى والكوكب الأضوا قال : فشكر لهما كليب وانعم عليهما وعاد مكرماً معظماً ملك على قبائل العرب بالغاً الأرب جميع ، وهذا آخر ما جرى من قتل التبع وملوك اليمن الذين انطووا في غابر الزمن .

الفصل الثاني :

قبائل عنزة بن أسد



نسب قبائل عنزة

قبيلة عنزة الوائلية في هذا العصر قبيلة عربية أصيلة كريمة النسب والحسب من العدنانية وتنتسب إلى ربيعة الفرس الصريح من ولد نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل عليه السلام . وهي من أكبر القبائل العربية في الحاضر والماضي ولها تاريخ حافل في الجاهلية وصدر الإسلام وفي القرون المتأخرة . وفيها ملوك وأمراء وفرسان وشجعان وأدباء وشعراء أفذاذ ، وقضاة وعلماء ، وتمتد ديارها لتشمل بقعة كبيرة من بلاد العرب : حيث تنتشر قبائلها في الحجاز من ناحية خيبر ، فالعلا ، ثم نجد والقصيم فحائل ثم الجوف فوادي السرحان والحماد وشمال الجزيرة العربية ثم بلاد الشام والعراق فالخليج العربي في الكويت والبحرين وقطر . ولم يتغير توزيعها الجغرافي كثيراً حيث ما زالت تنتشر في معظم هذه الحواضر وخصوصاً حاضرتها التي تتواجد بكثرة في نجد في الرياض والقصيم والمجمعة وأما باديتها فلا زالت تتواجد في الحجاز ونجد فحائل ولكن معظمهم ينتشر في شمال الجزيرة العربية فى الجوف وعرعر والقريات وطريف ، وتيماء ، وتبوك ، وحفر الباطن ولا زالت لهم عشائر وبطون متناثرة في بلاد الشام والعراق والكويت والبحرين وقطر . وحيث أن هذا المبحث يختص بنسب القبيلة وأصولها القديمة ، والتحولات التي طرأت على القبيلة خلال القرون المتأخرة فيحسن بنا الرجوع لأولى المصادر التاريخية التي تحدثت عن قبيلة عنزة وتتبع ما قاله المؤرخون والنسابة في الجاهلية وصدر الإسلام والعصور الوسيطة التي شحت فيها الرواية

والمصادر والأخبار عن تلك التحولات الكبيرة التي طرأت على كل القبائل العربية في جزيرة العرب وخارجها وهجراتها العكسية بسبب الظروف السائدة في ذلك الوقت . ولا زالت قبيلة عنزة حتى يومنا هذا تحتفظ بعمود نسبها المتوارث لدى العامة والمستفيض عند أبناءها وعند قبائل العرب وهو عناز بن وائل الذي يعتبر الجد الأعلى للقبيلة وبالنظر للتاريخ وما نقله لنا المؤرخون المتقدمون كالكلبي والطبري والبكري وابن الأثير وغيرهم فإن قبيلة عنزة تنتمي للجذم العدناني الكبير ربيعة بن نزار الذي كان يشكل لحمة واحدة في الحجاز قبل الإسلام بقرون وهي من أقرب قبائل ربيعة لعمود النسب الربعي وهي عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل عليه السلام . وأما وائل الذي تعتزي به اليوم ويعتبر الجد الجامع لها فهو وائل بن قاسط بن أهنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد

فرق النسب بين تغلب بن وائل وعنزة

١- يذكر النسابة الشهير ياقوت الحموي يذكر تغلب بن وائل ويذكر دخول أكبر فروعها الافوه في قبيلة عنزة البكرية الوائلية

٢- يقول محمود شاكر بكتابه شبه جزيرة العرب بنجد : (قبيلة عنزة : وهي من أكبر القبائل العربية الحالية وهي تمت الى اصول عدنانية من ربيعة وهي تضم بطوناً من بني بكر بن وائل وتغلب بن وائل)

٣- يذكر كتاب منهج الطلب عن مشاهير قبائل العرب لمحمد القاضي :

{ قبيلة عنزة }

هذه القبيلة من أشهر قبائل العرب وفيها أمراء وملوك وعلماء وأدباء وقضاء وشعراء جاهليون ومعاصرون وفيها أعيان وشجعان بواسل وأهل شهامة وكرم ومساكنهم من نجد إلى الحجاز والموجودن يشملهم اسم بكر وبنو شيبان وتغلب

٤ يذكر كتاب رحلة ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة ل ماكس اوبنهايم : (يعد بنو عنزة قبيلة من اعرق القبائل العربية وقد سبق ذكرها منذ عهد بعيد واصلها من بني ربيعة وعلى وجه التحديد من بني وائل)

٥- يذكر كتاب عشيرة الاساعدة من عـــتيبة الهيلا لــ مثيب العتيبي : (كما هو حاصل في بني وائل بكر وتغلب وحنيفة التي اندرجت تحت مـسمى قبيلة عنزة الوائلية)

٦- يذكر كتاب المنتخب في ذكر انساب قبايل العرب ل عبد الرحمن الطائي : (ان بني ربيعة بن نزار بطون دخل بعضها في بعض وذلك مشهور في زماننا بانتساب بطون ربيعة لعنزة)

٧- كلام صاحب الكتاب : (ويأتي شخص معاصر لزمننا الحديث ويحاول يبعث بنسب عنزة حاليا ويقول انهم بمذحج وياتي شخص اخر ينكر تغلب وبكر بن وائل بدخولهم للهازم كل الادله ذي من علماء ويبونا نكذب العلماء ونصدقه الاشخاص الحديثه المعاصره لنا ، وياتي شخص يقول انه ماصار الحلف بسبب قصيده للزير سالم بالجاهليه انه لا يصالح بكر بن وائل ولكن ذلك لايدخل العقل ولا المنطق اما بني تغلب هم الان بعنزة وهم نسل بشر التغلبي والبكريين نسل مسلم البكري وهناك اشخاص يدعون ان وائل اثنين وائل بن عنزة بن اسد وهو عامر وائل بن قاسط وليس هناك كتاب واحد يذكر انه في وائل شخصين وانما هو وائل واحد وهو وائل بن قاسط)

عنزة ، تاريخها وديارها

وكانت أعني عنزة أول من ساد ربيعة مع أختها ضبيعة أضجم في الجاهلية . ويبدو من خلال ما نقل البكري أن معداً كلها كانت لحمة واحدة حتى وقعت الحرب بين ربيعة وقضاعة ، وقد ذكر لنا البكري سبب هذه الحرب حيث يقول في كتابه معجم ما استعجم :

فلم تزل أولاد معد في منازلهم هذه ، كأنهم قبيلة واحدة ، في اجتماع كلمتهم ، وائتلاف أهوائهم ، تضمهم المجامع ، وتجمعهم المواسم ، وهم يد على من سواهم ، حتى وقعت الحرب بينهم فتفرقت جماعتهم ، وتباينت مساكنهم قال مهلهل يذكر اجتماع ولد معد في دارهم بتهامة وما وقع بينهم من الحرب :

غنيت دار تهامة في الدهر = وفيها بنو معد حل حلولا

فتساقوا كأساً أمرت عليهم = بينهم يقتل العزيز الذليلا

فأول حرب وقعت بينهم أن حزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود أسلم بن الحاف بن قضاعة كان يتعشق فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن ... بن نزار ، وكان اجتماعهم في محلة واحدة ، وتفرقهم النجع فيظعنون ، فقال حزيمة : أسد بن ربيعة :

إذا الجوزاء أردفت الثريا = ظننت بآل فاطمة الظنونا

ظننت بها وظن المرء حوب = وإن أوفى وإن سكن الحجونا

وحالت دون ذلك من همومي = هموم تخرج الشجن الدفينا

أرى ابنة يذكر ظعنت فحلت = جنوب الحزن ياشحطا مبينا

فبلغ شعره ربيعة فرصدوه حتى أخذوه فضربوه ، ثم التقى حزيمة ويذكر وهما ينتحيان ، القرظ فوثب حزيمة على يذكر ، فقتله ، وفيه تقول العرب :

(حتى يثوب قارظ عنزة) .

وقال بشير بن أبي خازم :

فرجي الخيـر وانـتـظـري إيـابـي = إذا ما لقــارض الـعـنـزي آبــا

وقال أبو ذؤيب :

فتلك التي لا يبرح القلب حبها = ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

وحتى يثوب القارظان كلاهما = وينشر في الموتى كليب لوائل

فالقارظ الأول هو يذكر ، والثاني هو عامر بن رهم بن همىم العنزي . فلما فقد يذكر قيل الحزيمة أين يذكر؟ قال : فارقني ، فلست أدري أين سلك فاتهمته ربيعة ، وكان بينهم وبين قضاعة فيه شر ، ولم يتحقق أمر فيؤخذ به حتى قال حزيمة :

فتاة كأن رضاب العصير = بفيها يعل به الـزنـجـبـيــل

قتلت أباها على حبها = فتبخل إن بخلت أو تنيل

فاجتمعت نزار بن معد على قضاعة واجتمعت قضاعة وأعانتهم عك والأشعرون فاقتتل الفريقان ، فقهرت قضاعة وأجلوا عن منازلهم ، وظعنوا منجدين ، فقال عامر بن الظرب بن عياذ بن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان في ذلك :

قضاعة أجلينا من الغور كله = إلى فلجات الشام تزجي المواشيا

لعمري لئن صارت شطيراً ديارها = لقد تأصر الأرحام من كان نائيا

وما عن تقال كان إخراجنا لهم = ولكن عقوقاً منهم كان باديا

وبعد هذه الحرب بقيت ربيعة من معد متماسكة وكانت السيادة فيهم كما ذكر المؤرخون لضبيعة بن ربيعة ثم تحولت إلى عنزة بن أسد ثم إلى عبد القيس ثم إلى النمر بن قاسط ، ووقعت الحرب بين النمر وعبد القيس وانتقلت الرياسة إلى تغلب ثم إلى بكر بن وائل في شيبان ويشكر وقبل الخوض في أخبار ربيعة وتفرقها يستحسن أن نلقي الضوء على قبائل ربيعة التي تشكل لحمتها قبل أن تفترق وتصبح قبائل مستقلة وهي كما ذكرها المؤرخون أمثال الكلبي والأصفهاني وابن عبد ربه والجواني ، وابن حزم ، وغيرهم كالتالي :

ضبيعة بن ربيعة أكلب بن ربيعة ، عنزة بن اسد بن ربيعة عميرة بن بن ربيعة (دخلت في عبد القيس)عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة ، النمر بن قاسط (أخو وائل) ، غفيلة بن قاسط (أخو النمر) ، بكر بن وائل (وفيهم العدد والشهرة) ، تغلب بن وائل ، عنز بن وائل . بن ربيعة ومن بكر بن وائل قبائل وبطون كثيرة استقلت وشكلت عشائر منها :

بنو حنيفة بن لجيم بنو عجيل بن لجيم ، بنويشكر ، بنو ثعلبة بن عكابة وفيهم العدد والشهرة وتفرع منه قبائل :

قيس بن ثعلبة ، وتيم اللات بن ثعلبة ، وشيبان بن ثعلبة وفيهم العدد والشهرة وذهل بن ثعلبة وضبيعة بن قيس بن ثعلبة رهط الحارث بن عباد وانقسمت بكر بن وائل بعد ذلك إلى جذمين كبيرين هما الذهلين واللهازم سيأتي الحديث عنهما لاحقاً . وهناك بطون صغيرة لم نذكرها اختصاراً

ومن تغلب بن وائل بني جشم ، والأراقم . ومن عنزة أسد : بني جلان ، بني هميم بني جسر ، بني هزان (حلفاء بني حنيفة في اليمامة)

ونعود للبكري الذي يمضي بنا في سرد الأحداث في تفرق ربيعة وانقسامها حيـــــــــــث يقول :

وأقامت سائر قبائل ربيعة من بكر وتغلب وغفيلة وعنزة وضبيعة في بلادهم من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة ، حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كليب بن ربيعة وانضمت النمر وغفيلة إلى تغلب فصاروا معهم ، ولحقت عنزة وضبيعة ببكر بن وائل ، فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد ، وتنفيهم من أرض إلى أرض ، وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر ، حتى التقوا يوم قضة وقضة عقبة في عارض اليمامة وعارض : جبل ، وقضة من اليمامة على ثلاث ليال وذلك يوم التحالق ، فكانت الدبرة لبكر على بني تغلب فتفرقوا على ذلك اليوم وتلك الوقعة ، وتبددوا في البلاد أعني بني تغلب وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ومناظرها وناحية الإبلة إلى هيت وما والاها من البلاد ، وانحازت النمر وغفيلة إلى أطراف الجزيرة وعانات وما دونها إلى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاعة من مشارق الأرض فقال الأخنس بن شهاب التغلبي وكان رئيساً شاعراً يذكر منازل القبائل :

لكل أناس من معد عمارة = عروض إليها يلجئون وجانب

لكيز لها البحران والسيف كله = وإن يغشيها بأس من الهند كارب

تطاير على أعجاز حوش كـأنـهـا = جهام أراق ماءه فهو آئب

وبكر لها بر العراق وإن تشأ = يحل دونها من اليمامة حاجب

وصارت تميم بين قف ورملة = لها من جبال منتأى ومذاهب

وكلب لها خبت ورملة عالج = إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

وبهراء حي قد علمنا مكانهم = لهم شرك حول الرصافة لاحب

وغارت إياد بالسواد ودونها = برازيق عجم تبتغي من تضارب

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا = مع الغيث ما نلقي ومن هو عازب

انتهى كلامه

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن قبائل ربيعة كانت لحمة واحدة تتبادل قبائلها السيادة فيما بينها ثم تفرقت بعد حربهم الأولى التي كانت بين عبد القيس والنمر بن قاسط في قتل عامر الضحيان من النمر وكان سيد ربيعة في زمانه كما ذكر الكلبي وغيره حيث رحلت عبد القيس إلى البحرين وهجر واستوطنت هناك بعد أن أجلت إياد وغيرها . وتيامنت كل من عنز بن وائل ، وأكلب بن ربيعة واستوطنت حنيفة أرض اليمامة واستقلت عن بكر بن وائل وسائر ربيعة وجاورها بنو هزان من عنزة بعد ذلك وقعت الحرب الثانية (حرب البسوس) في قتل جساس لكليب وانقسمت ربيعة في هذه الحرب كما أوضح البكري في النص السابق إلى قسمين متحاربين :

القسم الأول : بقيادة بكر بن وائل وانضمت إليها ضبيعة بن ربيعة ، وعبد القيس وعنزة بن أسد بن ربيعة التي دخلت في اللهازم من بني بكر وقد مرّ معنا قصيدة الأخنس التغلبي حيث ذكر ديار قبائل معد وربيعة ،وبكر ولم يشر إلى عنزة وضبيعة لأنهما داخلتين في بكر

القسم الثاني :

بقيادة تغلب بن وائل ، وانضمت إليها غفيلة والنمر ابني قاسط

يقول ابن عبد ربه الأندلسي : ودعت تغلب النمر بن قاسط فانضمت إلى بني كليب وصاروا يداً على بكر ولحقت بهم غفيلة ابن قاسط

في حين اعتزلت حنيفة ويشكر من بكر بن وائل هذه الحرب . وكذلك عنز بن وائل وأكلب بن ربيعة اللذان توغلا في قبائل اليمن وتحالفا معهم واستمرت قبائل ربيعة بهذه الثنائية في جاهليتها إلى صدر الإسلام والقرون الأولى من الهجرة حتى اضمحلالها وتفرقها ودخول من تبقى من بطونها البدوية تحت لواء عنزة الكبرى القبيلة الحالية .

حلف اللهازم

بعد ذلك انتشرت قبائل بكر بن وائل ومعها عنزة بن أسد في أطراف نجد إلى سواد العراق ويجاورها قبيلة تميم المنافس التقليدي لها وكانت قبيلة بكر بن وائل تضم فرعين كبيرين هما : الذهلين واللهازم . فأما الذهلين فهما شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وحلفاءهم يشكر بن وائل وضبيعة أضجم وعبد القيس

وأما اللهازم فهم : تيم اللات بن ثعلبة ، وقيس بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد . وكانت الرياسة في اللهازم لبني عجل ، ومن أشهرهم أبجر بن بجير العجلي قائد اللهازم في الجاهلية ، وأما بقية بكر فكانت بقيادة زعيمها الشهير بسطام بن قيس الشيباني

يقول أبو فرج الأصفهاني : بطون بكر بن وائل على جذمين ، جذمٍ يقال له الذهلان وجذم يقال له اللهازم .

فالذهلان بنو شيبان بن ثعلبة ويشكر بن وائل ، وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم قيس بن ثعلبة وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة وقد ذكر الإمام أبو سعد عبدالكريم السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ

ما نصه : (ورد) في المسند عن عكرمة ، عن عبدالله بن عباس حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله ﷺ بأن يعرض نفسه على القبائل من العرب خرج وأنا وأبو بكر رضي الله عنه ، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر وكان رجلاً نسّابة فسلّم فردوا عليه

فقال : ممن القوم؟ قالوا من ربيعة قال : من هامتها أم من لهازمها؟ قالوا بل من هامتها العظمى إلى آخر الحديث

ومن كتاب نهاية الأرب للقلقشندي ، قال ما نصه : (اللهازم بطن من بني بكر بن وائل)

وفي كتاب أنساب الأشراف للبلاذري قال : (تجمعت اللهازم وهم : قيس ، وتيم الله ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ، وعجل ، ولجيم ابنا صعب بن علي بن بكر بن وائل وعنزة بن اسد بن ربيعة)

وقال صاحب كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، وهو محمد بن عبدالمنعم الحميري متحدثاً عن موضع اسمه : (النباج : النباج وثيتل موضعان متدانيان بينهما دوح ينزلهما اللهازم من بني بكر)

وقد ذكر البكري هذا الموضع بتفصيل أكثر يقول :

(النباج : بكسر أوله وبالجيم في آخره : قال أبو عبيدة : النباج وثيتل موضعان متدانيات بينهما دوح ينزلهما اللهازم من بني بكر ، وهم بنو قيس وتيم بني ثعلبة وعجل وعنزة ، وقد أغارت عليهم فيها بنو تميم فظفرت بهم

قال ربيعة بن طريف يمدح قيس بن عاصم :

وأنت الذي خـويـت بـكـر بـن وائل = وقد عطلت منها النباج وثيتل

وذكر الجواني في المقدمة الفاضلية : (عنزة بن أسد واسمه عمرو وهو من اللهازم)

وفي مخطوطة الشنقيطي وهي مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية نقل صاحبها من مخطوطة قديمة كانت محفوظة في المدينة كتبت عام ٥٩٨هـ ، وفيها : (عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وهم من اللهازم ، فصاروا مع بكر)

وفي معجم الأدباء يقول ياقوت الحموي : (وحدّث عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : اللهازم قيس بن ثعلبة وعجل وعنزة وتيم الله قال عيسى بن عمر : أرى اللهازم تجمعوا كما تجمع لهازم الدابة)

وقال الشاعر الفرزدق :

وأرضى بحكم الحي بكر بن وائل = إن كان في الذهلين أو في اللهازم

ومن قصيدة طويلة للفرزدق يرثي فيها ابنيه قال :

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد = ومات أبو غسان شيخ اللـلـهـازم

وأبو غسان هو مالك بن مسمع سيد بكر بن وائل في الإسلام ، وقد دخل الذهلين بعد الإسلام في اللهازم وسنبين ذلك لاحقاً .وقد شاركت عنزة بن أسد وهي من اللهازم أخوتهم بكر بن وائل في كل حروبهم بدءاً بالبسوس وانتهاء بذي قار وقد نقل لنا الطبري والأصفهاني وابن عبد ربه وابن الأثير وغيرهم نقلاً عن أبو عبيدة أيام العرب قبل الإسلام ومنها أيام بكر بن وائل ؛ ففي يوم ذي قار الشهير وبعد انتصار بني شيبان وحلفائهم على الفرس قام الأعشى وامتدح بني شيبان خاصة فقال :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي = وراكبها يوم اللقاء وقلت

هموا ضربوا بالحنو حنوا قراقر = مقدمة الهامرز حتى تولت

وأفلتنا قيس وقلت لعله = يثيب وإن كانت به النعل زلت

وكذلك فعل أصم بني الحارث حيث امتدح بني شيبان فقط دون اللهازم . فلما مدح الأعشى والأصم بني شيبان خاصة غضبت اللهازم ، فقال أبو كلبة أحد بني قيس بن ثعلبة من اللهازم يؤنب الأعشى والأصم :

جدعتما شاعري قوم ذوي حسب = حزت أنوفكما حزاً بمنشار

أعني الأصم وأعشانا إذا اجتمعا = فلا استعانا على سمع وأبصار

لولا فوارس لا ميل ولا عزل = من اللهازم ما قاظوا بذي قار

نحن أتيناهما من عند أشملهم = كما تلبس وراد بصدار

فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال : صدق وقال الأعشى معتذراً عما قال :

متى تقرن أصم بحبل أعشى = يتيها في الظلال وفي الخسار

فلست بمبصر ما قد يراه = وليس بسامع أبداً حواري

وقيلت في يوم ذي قار أشعار كثيرة ليس هذا موضع ذكرها .

وفي يوم الوقيط وهو يوم لبكر بن وائل على تميم كان للهازم دور فعال في هزيمة تميم ، وفي ذلك يقول جرير معرضاً بالفرزدق :

ويوم الصفا كنتم عبيداً لـعـامر = وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

والصفا هو يوم جبلة والحزن هو يوم الوقيط .

وأغلب حروب بكر بن وائل في الجاهلية كانت وذلك بسبب الجوار في المسكن حيث تمتد ديار تميم وبكر من أواسط نجد حتى أطراف العراق وحتى في الأيام التي هزمت فيها بكر من تميم كان ،اللهازم شركاءها أيضاً في الهزيمة ففي يوم النباج وثيتل كانت الدائرة على بكر ومنها اللهازم وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف يرثي قيساً من تميم :

وأنت الذي حربت بـكـر ابـن وائل = وقد عضلت منها النباج وثيتل

وقال قرة بن قيس بن عاصم يفخر بهزيمة بكر واللهازم وانتصار تميم :

أنادي الذي شق المزاد وقد رأى = بثيتل أحياء الـلـهـازم حضرا

وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم = فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا

وفي يوم السلي وهو يوم انتصرت فيه تميم أيضاً على بكر ومنها اللهازم وفيه كانت الغارة على بني يشكر خاصة ، وفي هذا اليوم يقول حاجب بن ذبيان المازني ثم التميمي :

سلي يشكرا عـنـي وأبناء وائل = لهازمها طرا وجمع الأراقم

ألم تعلمي أنا إذا الحرب شمرت = سمام على أعدائـنـا فـي الـحـلاقـم

هموا أنزلوا يـوم الـسـلـي عزيزها = بسمر العوالي والسيوف الصوارم

وكان الشاعر الجاهلي رشيد بن رميض العنزي من اللهازم شاعر بكر الأبرز في وقته ، حيث زمن في شعره أيام بكر بن وائل وحفل شعره بالمديح لفرسان بكر وتصوير النصر وهجاء الأعداء ، ففي يوم الشيطين العظيم لبكر على تميم وكان قبيل الإسلام حيث أجمعت بكر على غزو تميم فقالوا : إن في دين عبد المطلب أن من قتل نفساً قتل بها فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها فأغاروا على تميم وأخذوها فقال رشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين الشيطين ولعلع = لنسوتنا إلا مناقل أربع

فجئنا بجمع لم ير الناس مثله = وكاد له ظهر الوديقة يضلع

بأرعن دهم تنشد البلق وسطه = له عارض فيه المنية تلمع

إذا حان منه منزل القوم أوقدت لأخراه أولاه سنا وتيفعوا والقصيدة طويلة يذكر فيها تفاصيل الهزيمة فأجابه محرز المكعبر الضبي التميمي فقال :

فخرتم بيوم الشيطين وغيركم = يضر بيوم الشيطين وينفع

وجئتم بها مذمومة عنزية = تكاد من اللــوم الـمـبـيـن تطلع

فإن يك أقوام أصيبوا بغرة = فأنتم من الغارات أخزى وأوجع

فقالوا : إن بكراً أتاهم كتاب النبي الله فأسلموا على ما في أيديهم وقال أبو الحسناء العنبري : قتل من تميم يوم الشيطين ولعلع ستمائة رجل قال فوفد بني تميم على النبي ﷺ فقالوا :ادعُ الله على بكر بن وائل فأبى رسول الله ﷺ

وفي يوم زبالة وهو يوم لبكر أيضاً على تميم وفيه أغارت تميم بقيادة الأقرع بن حابس على بكر فهزمت تميم وأسرت بكر الأقرع وكان عند بني تيم الله بن ثعلبة وأسر خلق كثير من تميم وكانت بكر بقيادة قائدها الشهير بسطام بن قيس الشيباني وكان في الأسرى إنسان من بني يربوع فسمعه بسطام في الليل يقول :

فدى بوالدة علي شفيقة = فكأنها حرض عـلـى الأسـقـام

لو أنها علمت فيسكن جاشها = أني سقطت على الفتى المنعام

وكان بسطام يسمعه فقال : والله لا يخبر أمك عنك غيرك فأطلقه

فقال رشيد بن رميض العنزي يمدح بسطام :

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة = حتى أنيخت لدى أبيات سطام

جيش الهذيل وجيش الأقرعين معاً = وكبة الخيل والأذواد في عام

وقال أوس بن حجر من شعراء تميم يثني على بسطام :

وإن أبا الصهباء في حومة الوغى = إذا ازورت الأبطال ليث مجرب

وأبو الصهباء لقب البسطام .

وأغار حاتم طي بجيش من قومه طي على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طي وقتل منهم جماعة ، وأسر منهم جماعة فكان في الأسرى حاتم بن عبدالله الطائي أسرته عنزة بن أسد ، وبقي عندها موثقاً ، فقال رشيد بن رميض العنزي :

ونحن أسرنا حاتماً وابن ظالم = فكل ثوى في قيدنا وهو يخشع

وكعب إياد قد أسرنا وبعده = أسرنا أبا حسان والخيل تطمح

ومن أيام اللهازم مع تميم ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني قال : قال أبو عمرو :

وقعت حرب بين أخلاط طيىء فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا فاعتزل وجاور بني تميم ونزل على قيس بن عاصم ، فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معه فاقتتلوا قتالاً شديداً وزيد كاف فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه وحمل على القوم وجعل يدعو بالتميم ، ويتكنى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه عن فرسه أو هزم ناحية حتى هزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخراً لهم في العرب وافتخر بها قيس فلما قدموا قال له زيد أقسم لي يا قيس نصيبي فقال :وأي نصيب؟ فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي فقال زيد :

ألا هل أتاها والأحاديث جمة = مغلغلة أنباء جيش اللهازم

فلست بوقاف إذا الخيل أحجمت = ولست بكذاب كقيس بن عاصم

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي أحد سنان قول زيد فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نعمهم ما شاء وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج على فرسه في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم فقال : ما لي ولك يا مكشر ؟ فقال : قولك : إذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم

فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ورجع المكشر ببقية ما أصاب فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة فغنم وسبئ وقال في ذلك :

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا = عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

ومن أخبار اللهازم البكريين أيضاً ما ذكره الطبري في تاريخه عندما بعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي لقتال مرتدة بكر بن وائل بقيادة الحطم بن ضبيعة ، وجاء في الخبر : فبينا الناس ليلة كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة ، فكأنها ضوضاء هزيمة فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبدالله بن حذف : أنا آتيكم بخبر القوم . وكانت أمه عجلية فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : من أنت؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه! فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال :ما شأنك؟ فقال : لا أضيعن الليلة بين اللهازم علام أقتل وحولي عساكر

من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود؟!
فتخلصه وقال : والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة والحطم الوارد ذكره
في هذا الخبر ارتد بعد إسلامه وقتل كافراً وهو من ضبيعة قيس بن ثعلبة من اللهازم
من بكر بن وائل والحطم لقب له واسمه شريك وسمي بالحطم بسبب أبيات قالها
الشاعر الجاهلي رشيد بن رميض العنزي والقصة عند الصفدي في كتابه الوافي
بالوفيات وفيه : الحطم شريح بن ضبيعة وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد كان
شريح هذا قد غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه
وبين كندة أسر فيها فرغان بن مهدي بن معدي كرب عم الأشعث بن قيس وأخذ
على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ومات فرغان في أيديهم عطشاً وهلك
منهم ناس كثير بالعطشوجعل شريح يسوق بأصحابه سوقاً حثيثاً حتى نجوا ووردوا الماء
فقال فيه رشيد بن رميض العنزي :

هذا أوان الشد فاشتدي زيم = قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم = ولا بجزار على لحم و ضم

فلقب شريح يومئذ بالحطم لقول رشيد فيه هذا الرجز وأدرك الحطم الإسلام وأسلم ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ فخرج في بني عبد قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من كان بها من الزط والسنابجة وبعث بعثاً إلى دارين وأبالة ليجعل عبد القيس بينه وبينهم وكانوا مخالفين له يمدون المسلمين وآل الأمر إلى أن جاءه العلاء بن الحضرمي وقصتهم طويلة وآخر الأمر قتل الحطم ومات كافراً .

ومما سبق يتبين لنا أن قبيلة عنزة بن أسد بعد أن سادت ربيعة في وقت من الأوقات تبدل حالها وانقلب أمرها ، وصارت من أصغر قبائل ربيعة ورافق ذلك بروز الأخوين بكر وتغلب ابني وائل وسيادتهما على ربيعة وخصوصاً بكر بن وائل التي تعد من جماجم العرب حيث أنها من ضخامتها أنجبت قبائل عظيمة لها شأن قبل الإسلام وبعده كبني حنيفة ، وبني شيبان ، وبني ذهل ، وبني عجل ، وبني يشكر ، وبني قيس ، وبني تيم اللات ، وسدوس ، وضبيعة وغيرهم وصارت النسبة لهذه البطون تغني عن النسبة لبكر أو وائل بل إن شهرة هذه البطون وبكر عموماً جعلت قبائل ربعية كبيرة تنتسب لها كضبيعة وعبد القيس .

يقول ابن عبد ربه والرجل من عبد القيس يُنسب شَيبانياً وجَرْمِيّاً وبَكْرياً ويقول أحد الشعراء يمدح الحارث بن أضجم سيد ضبيعة بن ربيعة ويصفه بأنه أحد سادات وائل في زمانه :

قلوص الظـلامــة مــن وائل = ترد إلى الــحــارث الأضــجــم

وقد دخلت عنزة بن أسد في إخوتهم بكر بن وائل وصارت من اللهازم وأصبحت قبيلة بكرية بالحلف . وصار العنزي في بكر بن وائل يرادف العجلي والشيباني ، والذهلي له ما لهم وعليه ما عليهم . وقد مرّ معنا في أيام بكر مشاركة العنزيين إخوتهم اللهازم من بني بكر في حروبهم ووقعاتهم ولا شك أن قبيلة بكر بن وائل هي هامة ربيعة وموضع سؤددها كما أشار أبو بكر رضي الله عنه في حديث دغفل النسابة الآنف الذكر . ومن دلائل هذا التلاحم الأبدي بين بكر وعنزة أيضاً ما نقله الأصفهاني في كتابه الأغاني عن الخلاف الذي نشب بين أبو العتاهية مولى عنزة وبين أولاد معن بن زائدة الشيباني من بني شيبان من بكر بن وائل حين هجاهم في إحدى قصائده وكان صديقاً لوالدهم .يقول أبو الفرج :حدثني الصولي قال : حدثني جبلى بن محمد قال : حدثني أبي قال مضى بنو معن إلى مندل وحيان بن علي العنزيين الفقيهين وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عنزة وكانا من سادات أهل الكوفة فقالوا لهم : نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه؟ فأحضرا أبا العتاهية ، ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبدالله ويزيد ابني معن والشاهد من النص هو قول أولاد معن لأخوتهم العنزيين :

نحن أهل بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقيام مندل وحيان بتأنيب أبي العتاهية وإجباره على الصلح والاعتذار .

ومن ذلك أيضاً ما نقله عن قصة هلال بن أسعر المازني التميمي حين قتل نهيس الجلاني من بني جلان من عنزة من اللهازم فهرب وتخفّى وقد طلبت بكر بن وائل الثأر منه لدم الجلاني العنزي والقصة طويلة وله قصائد كثيرة في ذلك منها قوله يعاتب قومه على خذلانهم له :

بني مازن لا تطردوني فإنني = أخوكم وإن جزت جرائرها يدي

ولا تثلجوا أكباد بكر بن وائل = بترك أخيكم كالخليع المطرد

وفيها أيضاً :

وتعلم بكر أنكم حيث كنتم = وكنتم من الأرض الغريبة محتدي

فإن يسر لي إبعاد بكر فربما = منعت الكرى بالغيظ من متوعد

والقصيدة طويلة وفي هذه القصة يظهر واضحاً أن بكر بن وائل قامت تطلب الثأر لدم الجلاني العنزي ؛ حيث أن عنزة من اللهازم من بكر بن وائل ، ومن ذلك وقوف بني شيبان مع أخوتهم عنزة في قتل والي الموصل الحسن بن صالح الهمداني وقيام حرب بسبب ذلك وقد جرت هذه الأحداث سنة ١٩٣هـ .

يقول أبو زكريا الأزدي في تاريخ الموصل : ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وفيها قتل الحسن بن صالح الهمداني قتلته عنزة إلى أن قال : أخبرني محمد بن إسحاق عن بعض أشياخه خرج الحسن يطالب بصدقات الأعراب ،فأخذها ثم أتى الجوز ،فنزل في النجف المطل على النهر المعروف بباجليا بأعلى تل باجليا وأظهر التقصي على عنزة في مطالبتهم فاجتمعت عنزة إلى شيبان وشكوا أمره فاجتمعوا أن يأتوه ليلاً فقتلوه ، ودفنوه بقرب باجليا واتصل الخبر بعلي بن الحسن وذكر الخبر كاملاً .

وفيه أيضاً : فبلغ عنزة خبرهم فلحقت بشيبان واجتمعوا جميعاً واستعدوا للقاء ، وسارت اليمانية نحو الزاب إلى أن قال فولت شيبان وعنزة ووضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

ومن ذلك أن أصنام بكر في الجاهلية هي أصنام لعنزة أيضاً يقول البكري :

وكان لبكر بن وائل صنم يقال له عوض ويقال :بل عوض الدهر وقد جاء فيه شعر قال رجل من عنزة قديم يخبر أن عوضاً صنم لبكر كلها :

حلفت بمائرات حول عوض = وأنصاب تركن لدي السعير

أجوب الدهر أرضاً شطر عمرو = ولا يلفي بساحتها بعيري

والقائل هو الشاعر الجاهلي رشيد بن رميض العنزي كما عند مرتضى الزبيدي في تاج العروس ويقول ابن حبيب صاحب المحبر : (وكان المحرق بسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعة وكانوا قد جعلوا في كل حي من ربيعة له ولداً . وكان في عنزة بلج بن المحرق)

وهذا التداخل بين بكر وعنزة لم يكن في العراق فحسب بل حصل في بقيتهما في نجد في بني هزان وحنيفة قبل الإسلام ومن ذلك دخول سعدانة بن العاتك بن المخارق الهزاني العنزي في حنيفة حيث أدركه عبيد بن يربوع بن ثعلبة الحنفي وهو جالس تحت نخلة سحوق يخرف رطبها وهو قاعد ويقول :

تقاصري آخذ جناك قاعدا = إني أرى حملك ينمي صاعدا

فأهوى إليه بالرمح ليقتله فقال : لا تقتلني ولكني أحالفك

وأكون معك فدلهم على ما أرادوا وصار فيهم إلى اليوم والخؤولة بين عنزة وبكر وخصوصاً حنيفة كثيرة ، فلجيم أبو حنيفة وعجل كانت امرأته عنزية واسمها حذام وهي التي يضرب بها المثل : " إذا قالت حذام فصدقوها ، فإن القول ما قالت حذام "

والواقع أن المتتبع لتاريخ ربيعة يدرك أن تاريخ قبيلة عنزة بن أسد مرتبط ارتباطاً كاملاً ببكر بن وائل وليس لها تاريخ مستقل بها فغزواتها وظعناتها ومواطنها ومفاخرها لا تنفصل بأي حال عن تاريخ البكريين حتى اختفاءهما معاً في القرن الخامس الهجري وبروز مسمى عنزة الوائلية في خيبر .

وفي المقابل فإن التداخل بين تغلب والنمر بن قاسط وغفيلة كبير جداً خصوصاً بعد الإسلام ، وقد اشتركت النمر بن بن قاسط مع تغلب في أيامها مع قيس ، يقول زفر بن الحارث الكلابي زعيم قيس يفتخر بقتال قومه لتغلب بن وائل والنمر بن قاسط :

فقد أفنى بني جشم ابن بكر = ونمرهم فوارس من كلاب

ويقول القطامي الشاعر التغلبي في النمر بن قاسط وقد أصبحوا جزءاً من تغلب :

وتغلب حي ورثـت مـجـد وائل = مراسيلها حشد ومرفدها غزر

دعوا النمر لا تثنوا عليهم خيانة = فقد أحسنت فيما خلى بيننا النمر

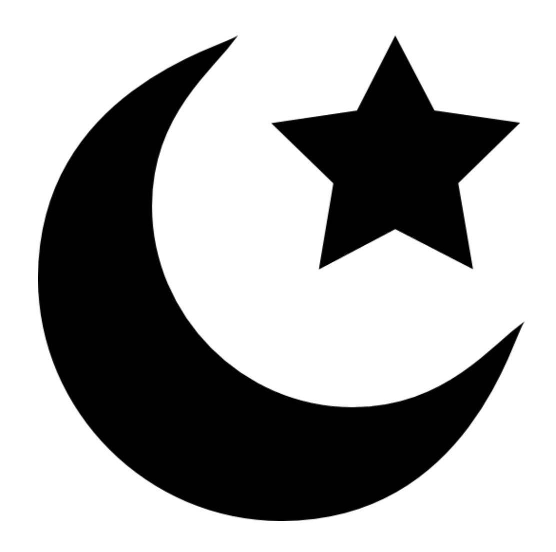
ويقول أبو الفرج الأصفهاني في إحدى الوقعات بين قيس وتغلب : (إن القتل استحرّ ببني عتاب بن سعد والنمر وفيهم أخلاط تغلب ، ولكن هؤلاء معظم الناس فقتلوهم بها قتلاً شديداً)

وكذا الحال مع غفيلة بن قاسط (أخو النمر) فكما ذكر البكري وابن عبد ربه وغيرهم فقد دخلت في تغلب أيضاً ونسبت لها

يقول الكلبي : (وعامر بن قاسط وهو غفيلة وهو مع بني تغلب)

الفصل الثالث :

قبائل ربيعة بعد الإسلام



وبعد الإسلام كان لقبائل ربيعة دور بارز في حاضرة الدولة الإسلامية خصوصاً بعد أن خمدت فتنة الردة وباستثناء موقف بني حنيفة في هذه الفتنة ومن وافقهم فإن ربيعة عامة وبكر خاصة أصبحت من أهم القبائل العربية في تلك الفترة ويضاف إليها تميم وقيس بن عيلان من مضر والأزد وكلب وكندة من اليمانية حيث كانت هذه القبائل المادة الأساسية للجيوش الإسلامية الفاتحة لبلاد الشام والعراق ويطالعنا الكثير من القادة العظام من بكر بن وائل في هذه الفتوح أمثال المثنى بن حارثة الشيباني وربعي بن الأفكل العنزي فاتح الموصل والجارود العبدي وثمامة بن أثال الحنفي وفرات بن حيان وعتيبة بن النهاس العجلي وغيرهم ، ولما فتحت العراق امتلأت حواضره الجديدة كالكوفة والبصرة بالربعيين خصوصاً بكر بن وائل وانتشروا ناحية الموصل حتى صارت تعرف تلك الأنحاء بديار ربيعة فيما بعد وتوغل منهم قسم شمالاً حتى أطراف بلاد الترك وهم ما يعرف حتى اليوم بديار بكر في الجنوب التركي وكان معهم بالطبع قبائل تميم والأزد وقيس في العراق وكلب وكندة في بلاد الشام وغيرها من القبائل العربية وقد اشتركت بكر بن وائل بفرعيها الذهلين واللهازم وربيعة مع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقعه صفين وكان يوماً مشهوداً لربيعة وكان شيخ اللهازم في هذه المعركة أعني الجمل مسلم بن عبدالله العجلي الذي أبلى بلاء حسناً وقتل فيها وقد أثنى الإمام علي بن أبي طالب على ربيعة وله أبيات يقول فيها :

لمن راية سوداء يخفق ظلها = اذا قيل قدمها حضين تقدما

فيوردها في الصف حتى يعلها = حياض المنايا تقطر الموت والدما

وقال أيضاً :

يا لهف نفسي ي على ربيعة = ربـيـعـة الـســامـعـة الـمـطـيـعـة

قد سبقتني فـيـهـم الـوقـيـعـة = دعا علي دعوة سميعة

حلوا بها المنازل الرفيعة

وكان من عنزة وحدها في المعركة أربعة آلاف رجل وقد نقل لنا المنقري في كتابه وقعة صفين تفاصيل كثيرة عن دور ربيعة العظيم في ذلك اليوم وعن فرسانها العظام وكان لهذه الأحداث وتأثير الإسلام أغلب الأثر في زيادة لحمة الربعيين واندماجهم حتى أصبح مسمى ربيعة هو الغالب على بكر بن وائل وحلفاءها ، خصوصاً بعد وأثناء الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ويقابل ربيعة أيضاً مـــضر التي

أصبحت هي الأخرى لحمة واحدة ودرجت مصطلحات أخرى كالقيسية واليمانية في التاريخ لهذه القبائل في صدر الإسلام ، ونعود لربيعة التي تلهزم معظم بطونها بعد الإسلام ودخلوا في اللهازم بما في ذلك بني حنيفة الذين أنهكتهم حروب الردة فهاجروا إلى العراق فيما بعد وقد اشتركت حنيفة اللهازم في وقعة صفين وكان على لهازم البصرة حريث بن جابر الحنفي ، بينما كان على لهازم الكوفة عبدالله بن حجل العجلي ومن فرسان ذلك اليوم نجدة بن عامر الحنفي وكانت حنيفة قد دخلت مع أختها عجل بن لجيم في اللهازم

ومن الشواهد على هذه الاندماجات ما ذكره الطبري وغيره حول تنازع الرياسة على بكر بن وائل بين مالك بن مسمع وأشيم بن شقيق وكان مالك هو المقدم في الإسلام ولكن أشيم أخذها حين شخص إلى يزيد بن معاوية ، ويحدثنا الطبري عن هذه الحادثة قائلاً : فأبت اللهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وتيم اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل وأربع قبائل وكان هذا الحلف في أهل الوبر في الجاهلية فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف ، لأنهم أهل مدر فدخلوا في الإسلام مع أخيهم عجل ، فصاروا لهزمةً ، ثم تراضوا بحكم عمران بن عصام العنزي أحد بني هميم ، وردها إلى أشيم وهنا نلحظ دخول قبيلة بني حنيفة في اللهازم كما نلحظ دور اللهازم وعنزة على وجه الخصوص في ترجح كفة أشيم كرئيس على بكر كلها بما فيها اللهازم .

وقد وصف الفرزدق بني حنيفة بالعبودية بعد دخولهم في أخوتهم عجل بن لجيم في اللهازم يقول :

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها = كما آل يربوع هجوا آل دارم

قال أبو الفرج الأصفهاني : (يعني بعبيد بني عجل قبيلة بني حنيفة)

بعد ذلك دخلت كل بطون بكر بن وائل في حلف اللهازم بما فيهم الذهلين وحلفاءهم . يقول أبو الفرج الأصفهاني :(وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة وأما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر وكانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن صعب بن علي فصاروا جميعاً في اللهازم ، وقال موسى بن جابر الحنفي السحيمي بعد ذلك في الإسلام :

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدة = سوى بين قيس عيلان والفزر

فلما نأت عنا العشيرة كلها = أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر)

ويقول البري صاحب كتاب الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ما نصه : (واللهازمُ : عَنَزةُ بن أسد بن ربيعة ، وعجل بن لجيم ، وتيم الله ، وقيس ، وذهل بنو ثعلبة بن عكابة . ثم تلهزمت حنيفةُ بن لُجيم ، فصارت معهم . والذهلان : شيبان وذهل ابنا ثعلبة بن عكابة)

يتضح لنا من خلال النصوص السابقة أن بطون بكر كلها دخلت في اللهازم كحلف أبدي بين قبائل بكر ومن دخل معهم من قبائل ربيعة فيما بعد ، ونلحظ أن حلف اللهازم كان قد بدأ في الجاهلية وازداد قوة بعد الإسلام لتكالب الظروف على قبائل ربيعة . وممن دخل في هذا الحلف بعض بطون تغلب بسبب ما جرى لهم في وقعة البشر مع قيس سنة ٧٠ه من استنزاف وقتل وقد أشار إلى ذلك شاعر تغلب الأخطل في أبيات له حيث يقول :

يا كعب لا تهجون العام معترضا = فإن شعرك إن لاقيتني غرر

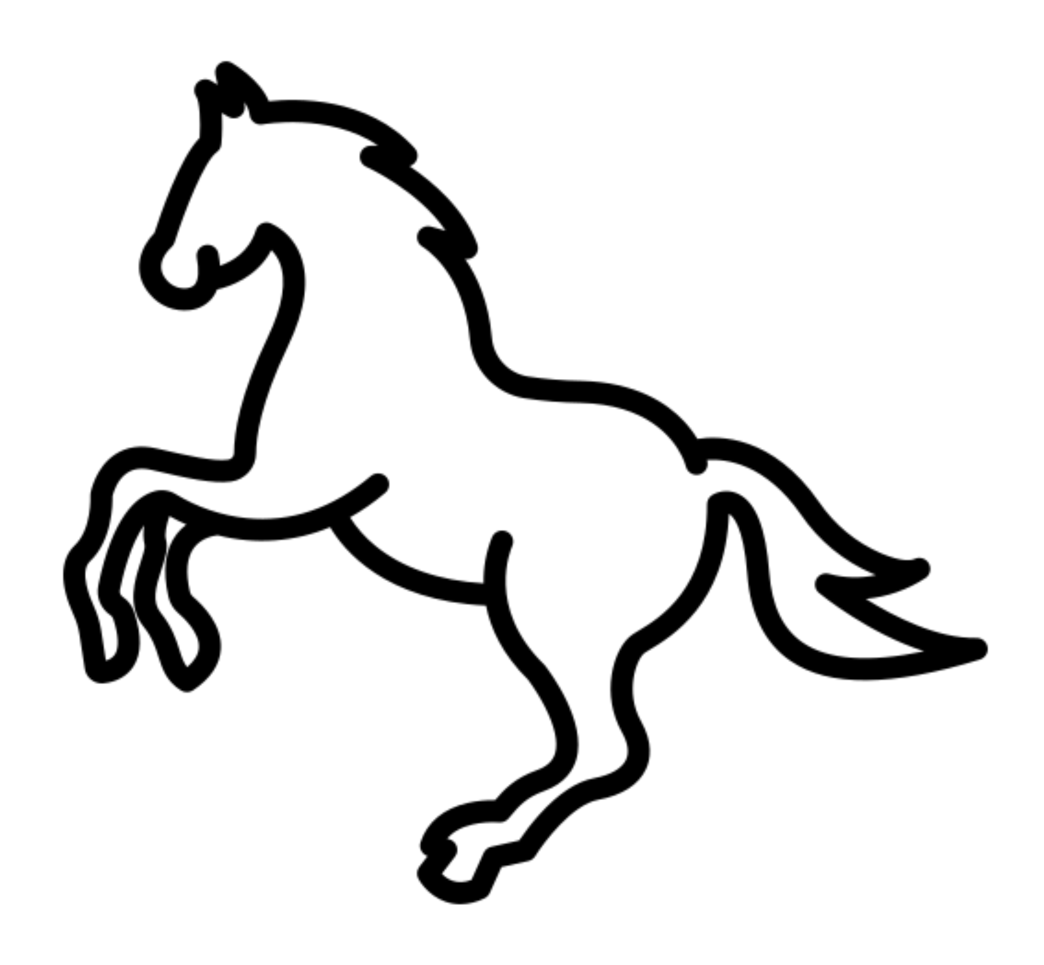
إني أنا الليث في عريسة أشب = فورع السرح حتى يفسح البصر

إن اللهازم لن تنفك تابعة = هم الذنابي وشرب التابع الكدر

ويعني باللهازم لهازم تغلب الذين دخلوا مع اللهازم البكريين وهم رهط الشاعر التغلبي الشهير كعب بن جعيل التغلبي وهو من شعراء البلاط الأموي وهنا يهجوه الأخطل ويعيره بالتبعية للبكريين لأنه تلهزم وقومه وصاروا في اللهازم ، ويقول الشاعر العباسي أبو تمام المتوفى سنة ٢٣١هـ : (بنو تغلب ستة أصناف الأراقم والقماقم ، واللهازم ،والأبناء ، والقعور وريش الحباري)

الفصل الرابع :

مفاخر ربيعة بن نزار



١- يذكر كتاب الردة ابو بكر الصديق رضى الله عنه يمدح بني شيبان ويوصفهم بالقوة قال : ثم بعث أبو بكر رضي الله عنه بكتابه هذا مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال : يا أبا سعيد ، انظر لا تفارق خالداً حتى تشيعه إلى العراق وقل له فيما بينك وبينه أن امض إلى العراق فإن بها قوماً من المسلمين يقاتلون الأعاجم وهم قوم من بني ربيعة بن شيبان ولهم بأس وجَلد وشرف وعدد فإن اتصلت بهم على الأعاجم رجوت أن يفتح الله على يديك العراق وإن احتجت إليك في وقت من الأوقات فحولتك من العراق إلى غيرها كنت أنت الأمير من دونه والسلام

٢- ويذكر كتاب الديباج :

ان بني حنيفة وتيم اللات قوم لقاح لم يدينو الملوك في الجاهليه والاسلام

٣- يذكر كتاب اللغات في القران :

ان الاية نزلت بلغة تغلب بن وائل

(قَومَهُ بِالأَحقاف) سورة الاحقاف ٢١

يعني الرمل الواحد حِقف بلغة حضرموت وتغلب

٤- يذكر كتاب لهجة ربيعة :

لم يقتصر الورود على لغة ربيعة وإنما وردت لغة تغلب في قوله :

(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَندر قومه بالأحقاف)

فقد روى ابن حسنون عن ابن عباس :

الأحقاف (يعني الرمل ، الواحد (حقف) بلغة حضرموت وتغلب)

٥- وردت لغة بني حنيفة في القرآن أيضًا وذلك قوله :

(واضمم إليك جناحك من الرهب)

قال ابن سلام :

(الرهب) (الكُم ، بلغة بني حنيفة) .

٦- يذكر كتاب الديباج أشعر الشعراء واحدة ثلاثة :

واتفقوا على أن أشعر الشعراء في الجاهلية واحدة :

طرفة بن العبد ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم

قال : ونظيرهم في الإسلام سويد بن أبي كاهل اليشكري

٧- يذكر كتاب الديباج مفاخر العرب ثلاثة :

قصيدة ابن حلزة ، وقصيدة عمرو بن كلثوم

مكارمها أربعة : السدانة ، الأسود اليشكري صاحب القبر ، وحجلة بجيلة ، ومن قصة ربيع بن الأسود اليشكري أنه كان أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله فقال : إن لي أرضاً باليمامة فإن أنا جعلتها وقفا أيجري على أجرها وأنا ميت فأمضاها فقبره فيها

٨- يذكر كتاب الرصيف لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم :

مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم لتغلب ، خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها النبي فهلكت قبل ان تصل اليه .

٩- يذكر كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر :

ان عنزة خوال عمرو بن العاص رضى الله عنه وامه النابغة بنت خزيمة من عنزة



المراجع والفهرس

المراجع

١- كتاب : أنساب الأشراف

٢- كتاب : معد ونسب واليمن الكبير

٣- كتاب : الجمهرة في ايام العرب لابن شبة

٤- كتاب : الكامل في التاريخ

٥- كتاب : معجم ما استعجم البكري

٦- كتاب : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار

٧- كتاب : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

٨- كتاب : العقد الفريد

٩- كتاب : شعراء كلب بن وبره

١٠- كتاب : الردة

١١- كتاب : عشيرة الاساعدة من عتيبة الهيلا

١٢- كتاب : شبه جزيرة العرب بنجد

١٣- كتاب : نشوة الطرب في تاريخ الجاهلية

١٤- كتاب : الطبري تاريخ الرسل والملوك

١٥- كتاب : منهج الطلب عن مشاهير قبائل العرب

الفهرس

تمت والحمد لله

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ